

وزارة الاستثمار

سلسلة
رواد الاستثمار

2

العصامي

أحمد عبود (باشا)

سلسلة رواد الاستثمار

أحمد عبود

الاقتصادى العصامى

مصطفى بيومى

رسوم : عصام طه

خطوط . محمد عبدالمطلب

ملحق الصور آرشيف دار الهلال

شجرة الليمون

من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب الثانى من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذى يبدو كشجرة ليمون عتيقة ، تزهر فى الربيع وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

الكتاب الثانى «أحمد عبود.. الاقتصادى العصامى» محاولة جادة لرسم صورة جديدة، منصفة، وعادلة، لواحد من رجالات الاستثمار المصرى الذين تعرضوا لمحاولات تشويه وهدم متعمدة فى زمن مضى، ولأسباب خاصة بتلك العهود التى تنفض مصر كلها غبارها وتمسح سناجها عن وجوه مصرية ذابت عشقا فى حب هذا الوطن وعفرت وجوهها بترابه وغبرت قدميها سعيا لرفعته.

أحمد عبود.. الاقتصادى العصامى ليس موضوعا لكتاب

ولكنه كتاب يتذكره أولو الألباب ضمن ثلة من الحادبين على حب الوطن المفدى، ليس تأريخا، بل مزيج إنساني وطني فريد، وليس تجميلا فجمال ما صنعت يداه تشهد بها كتابات المعاصرين، والتالين الفاهمين الواعين لدور الرجال الخلصاء في رفعة الوطن، ولكنه درس معتبر لأجيال من المستثمرين يشقون الطريق الوعر إلى مستقبل واعد.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة «رواد الاستثمار» واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها «المصور» تأكيد من الدار صاحبة الدور الوطني على الدور الوطني الذي لعبه هؤلاء في بناء الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف قدر ومكانة أبنائه الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور، درس لأجيال تسمع عنهم لماما وتتداول شذرا جد ظالمة آن الأوان لكتابة التاريخ على نحو آخر يهدى الحيارى.

الناشـــــر

تمهيد

يعد الاقتصادي المصري الكبير أحمد عبود باشا واحداً من ألمع نجوم الحياة الاقتصادية والصناعية قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فهو متعدد الأنشطة، متواصل مع الجوانب المختلفة للحياة السياسية والاجتماعية بالقدر الذي يخدم مصالحه ولايبعثر جهوده، فضلاً عن أنه كان مضرب المثل للأغنياء من أصحاب النفوذ والتأثير.

تراجع دور أحمد عبود بعد الثورة، ليس عن تكاسل أو إيثار للسلبية، بل لأن المناخ الجديد لم يعد متوافقاً معه، وبعد القرارات الاشتراكية وما صاحبها من تأميم ومصادرة وفرض للحراسات، وصل الرجل إلى مرحلة التلاشي، فغادر مصر إلى لندن، ومات هناك بعد انهيار امبراطوريته التي شيدها فى عقود متتالية، وانهارت فى لحظات خاطفة!.

الفصل الأول من هذا الكتيب يحمل عنوان

«إحسان عبدالقدوس .. شاهداً» ، ويبدأ بإطلالة سريعة عن انعكاس مكانة أحمد عبود على تناوله فى الشعر والرواية ، من خلال الشاعر الشعبى الكبير محمود بيرم التونسي ، والروائي السعودى المعروف الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي ، وصولاً إلي وقفة متأنية عند الموقع الذي يحتله عبود في أدب إحسان عبدالقدوس. شهادة الأديب الكبير تقدم مداخل مهمة عما قيل عن الاقتصادى المصرى النشيط بالحق والباطل ، وما نسب إليه من اتهامات لا دليل عليها ، كما يؤكد أدب إحسان أن أحمد عبود كان بمثابة القدوة والمثل الأعلي عند من يريدون اقتحام عالم المال والأعمال . .

يتوقف الفصل الثانى : «من القاع إلى القمة» ، أمام المحطات الرئيسة في حياة المليونير العصامى المكافح ، ابن الأسرة الشعبية الفقيرة ، وصاحب رحلة الصعود المثيرة من باب الشعرية إلي أرمنت ، ومن المدينة الصعيدية النائية إلي فلسطين ، قبل العودة إلى القاهرة نجماً يعلو بذكائه ومهاراته إلى

قمة المجتمع المصري، وسط دوامة من الصراعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في واقع معقد متشابك الأبعاد. يتسع للخير والشر، اتساعه للنجاح والفشل.

فى الفصل الثالث: «مشروعات وشركات»، محاولة للمزج بين أنشطة أحمد عبود والتحولات التى عرفتها الحياة المصرية بعد ثورة ١٩١٩. كان الاقتصادى الدءوب من قادة النهضة الاقتصادية، ورائداً فى عملية التمصير التي تمثل مطلباً وطنياً لمواجهة احتكار الأجانب وتعاظم نفوذهم. يهدف الفصل إلى التأكيد علي أن التقييم الموضوعي المنصف لإنجازات عبود، لن يكتمل بمعزل عن الوعي بطبيعة الواقع المصرى الذى تحرك فيه، وخاض في غمار صراعاته وتناقضاته، ذلك أنه لايعمل في فراغ، ولا يصدر فى توجهاته عن رؤى لاتقبل التغيير والتبديل.

«مفاتيح الشخصية» عنوان الفصل الرابع في الكتيب، ويسعى إلى رصد هذه المفاتيح من خلال

تحليل اختيار أحمد عبود للعشرة الأعظم فى الشرق والغرب في النصف الأول من القرن العشرين. الأسماء الدالة تكشف عن وعي الرجل ورؤيته الشاملة وموضوعيته التي تنطلق من فكرة المصلحة وتجنب الصدام وأهمية التعايش، ومن خلال هذا التحليل يمكن التماس المبادئ العامة للمنهج الذي يحكم الاقتصادي الكبير فى التعامل مع الحياة والعمل.

الفصل الخامس والأخير عن «النادي الأهلى»، فقد ترأس أحمد عبود مجلس إدارة النادى العريق لفترة طويلة، قبل ثورة يوليو وبعدها، ولم تكن تجربته في القلعة الحمراء مختلفة عن تجاربه الأخرى الناجحة، كما أن أسلوب العمل الإدارى ظل محتفظاً بجملة الثوابت التى تحكمه فى النشاط الاقتصادي، فهو إدارى محترف، ومولع بالبناء والتشييد، وذو نظرة استراتيجية ترنو إلى المستقبل، وتؤمن بالتخصص وتوزيع الأدوار، وقادر على تحقيق التجانس بلا انفعال أو توتر.

تتوقف خاتمة الكتيب أمام أهم النتائج التى يمكن استخلاصها بعد استعراض رحلة الاقتصادي العصامي، ابن البيئة الشعبية، المسكون بطموح غير محدود، ورغبة دائمة في النجاح والإنجاز.

المأمول ألا يكون الكتيب منحازاً إلى الرجل أو متحاملاً عليه، ففي حياته كثير من الإيجابيات والسلبيات. رد الاعتبار إلي أحمد عبود وأمثاله لايعني دفاعاً عاطفياً أو تبريراً بلا منطق، ذلك أن الهدف هو تحقيق التوازن الذى غاب طويلاً. وأسفر غيابه عن نتائج وخيمة، لابد من تجاوزها لتحقيق التواصل بين الماضى والمستقبل، عبر جسر الحاضر الذي يمر بينهما. استمرار القطيعة ليس مطلوباً، والتصالح ليس شعاراً، لكنه دعوة تجمع بين العلمى والعملى.

الفصل الأول

إحسان عبد القدوس .. شاهداً

- ١ -

للشاعر الكبير بيرم التونسى قصيدة ساخرة عنوانها «السيارات»، يحمل فيها على اقتناء السيارات الخاصة وما يترتب على ذلك من معاناة، لكن اللافت للنظر بحق هو مطلع القصيدة حيث يقول بيرم:

«لو كنت عبود ما اشتريش سيارة
وأردم عليها لو تجينى هدية!»

ليس مثل اسم أحمد عبود فى التعبير عن الثراء والقدرة المالية التى يُضرب بها المثل، فالترجمة الحرفية هى: «لو كنت أغنى الأغنياء»، وفى كلمة «عبود» ما يغنى!.

كان ذلك فى الثلاثينيات من القرن العشرين، وفى هذه الحقبة التاريخية يتحول اسم الاقتصادى المصرى الكبير إلى علامة دالة لايغيب معناها عن قارئى القصيدة والمستمعين إليها.

وفى العام ١٩٩٤، أصدر الروائى السعودى المعروف الدكتور غازى عبدالرحمن القصيبى روايته «شقة الحرية»، التى تدور أحداثها فى النصف الثانى من الخمسينيات، وتقدم شهادة مهمة عن الواقع المصرى خلال المرحلة الحافلة

بالأحداث والمتغيرات.

أى تغيير أحدثته ثورة ٢٣ يوليو فى الحياة الاجتماعية المصرية؟. من منظور اليسارى الثائر يعقوب لم يحدث تغيير حقيقى: «هل تغير وضع العامل الذى ينزف دماً وعرقاً فى المصنع؟. لم يتغير شئ، لايزال المصنع مملوكاً لعبود أو أبو رجيلة، أو شقيق أحد الضباط».

لايختلف النقد اليسارى العنيف الذى يوجهه يعقوب، شكلياً، عن نقد مماثل يردده الرأسماليون ضد النظام الناصرى، ويكمن الفارق الجوهرى فى البدائل المطروحة: نفى أحمد عبود وعبداللطيف أو رجيلة وأمثالهما من خريطة الإنتاج عند اليساريين، وتكريس السيطرة الطبقية التى يمثلها هذان الاسمان البارزان فى تاريخ الرأسمالية المصرية عند الاتجاه المضاد.

الاتفاق شكلى، والخلاف جذرى. فى سبتمبر سنة ١٩٥٩، قبل إصدار القوانين الاشتراكية التى غيرت علاقات الإنتاج، وفتحت مجالاً جديداً للنقد العنيف من اليسار واليمين معاً!.

أحمد عبود وعبداللطيف أبو رجيلة هما الأشهر والأكثر أهمية، ومن الثلاثينيات إلى الخمسينيات يبقى الرأسمالى المصرى الشهير هو الأكثر قدرة على التعبير عن طبيعة الواقع

المصرى سياسياً واجتماعياً: فى نقد ثورة يوليو، وفى نقد السيارات!.

الوجود المؤثر لأحمد عبود ينم عن مكانته، لكن الشهادة العميقة المتكاملة نجدها فى أدب إحسان عبدالقدوس، حيث يحظى الاقتصادى المصرى الكبير بتواجد ينبئ عن الكثير، ويصلح مدخلاً لتقديم صورة وافية عن الدور الذى قام به، وعما يتردد حوله من أقاويل وشائعات واتهامات!.

-٢-

وفقاً لأدب إحسان عبدالقدوس، يمثل الاقتصادى المصرى المليونير أحمد عبود باشا، أشهر نماذج الثراء والنجاح المادى فى المجتمع المصرى، قبل ثورة ٢٣ يوليو.١٩٥٢ وبعدها. تتكرر الإشارة إلى اسمه بشكل مباشر فى مواضع عديدة من روايات وقصص إحسان، فضلاً عن رواية كاملة لا تتضمن اسمه صراحة: «شئ فى صدرى»، لكن الكثير من الدارسين والنقاد يرون أنها صفحات من حياة أحمد عبود.

تقدم الرواية شخصية حسين باشا شكرى، وثمة مشتركات عديدة لايمكن إهمالها أو إنكارها بين الشخصيتين الروائية والواقعية، لكن الدمج بينهما مستحيل، بالنظر إلى استقلالية الفن الروائى عن الواقع التاريخى، والحق المشروع

للكاتب المبدع فى تشكيل شخوصه عبر مصادر مختلفة، من معطيات الواقع وصنع الخيال، دون قيود تتمثل فى التعامل معه بحسابات البحث عن الأصول الواقعية الحقيقية لشخصياته المصنوعة.

-٣-

يمثل أحمد عبود أنموذجاً للمليونير العصامى الناجح الذى يحتذى به ممدوح، أو يحلم باحتذائه، فى رواية «لاتطفئ الشمس»، فالشاب الطموح العملى يناقش خاله، الموظف الكبير التقليدى، فى جدوى التعليم الجامعى، مستعيناً بأهم الأسماء اللامعة اقتصادياً دون نجاح تعليمى مماثل: «عبود ماعندوش ليسانس .. سيد ياسين بتاع مصانع القزاز ماعندوش ليسانس .. أبورجيلة ما عندوش ليسانس .. كل دول ما كانش عندهم ليسانس، إنما عندهم جرأة، وكانوا غاويين شغلتهم..».

قد يكون صحيحاً أن النجاح فى عالم الاستثمار لايقترن بالشهادات الجامعية وحدها، لكن الصحيح أيضاً أن أحمد عبود، الذى يتمثل به ممدوح، حاصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة فؤاد الأول، وأن التعليم الجامعى لايمثل عائقاً أمام النجاح، بل إنه يزيد من فرص النجاح، لأنه يمنح

النضج ويتيح التسلح بالعلم النظرى للإفادة العملية التطبيقية.

من اللافت للنظر، أن أحمد عبود هو الاسم الأول الذى يطرحه ممدوح فى قائمة رجال الأعمال الأغنياء الناجحين، وهو الاسم الوحيد الذى يتكرر ذكره عند إحسان عبد القدوس فى مؤلفاته التالية، مع الاختفاء الكامل لاسمى سيد ياسين وعبداللطيف أبورجيلة[1].

- ٤ -

إذا كان الموت المبكر لممدوح، فى حادث مأساوى، قد حال دون وصوله إلى مرتبة أحمد عبود باشا، فإن رفعت البيومى، فى «غابت الشمس ولم يظهر القمر»، يمتد به العمر ليتفوق على أستاذه عبود، وهو الذى كان يحلم، فقط يحلم، بأن يكون مثله: «إنه الآن مليونير .. إنه أبعد ثراء مما وصل إليه أحمد عبود باشا الذى كان يحلم بأن يكون مثله من قبل الثورة، ولم يكن يتصور أنه يمكن أن يصل إلى مثل ثرائه فى يوم ما».

استطاع رفعت البيومى، بعد ثورة يوليو، أن يتفوق على مثله الأعلى الذى لم يكن يتخيل أن يكون يوماً فى مثل ثرائه. وإذا كان الشائع عند قطاع من الثوريين واليساريين أن أحمد عبود باشا هو الأنموذج الفاسد المعبر عن النظام الفاسد قبل ثورة يوليو، فما الذى يمكن قوله عن رفعت

البيومي والنظام «الثوري» الذي ينتمي إليه ويثرى من خلاله؟!.

رفعت ليس وحيداً أو فرداً، فإبراهيم العباسي فى رواية «لم يكن أبداً لها»، تلميذ آخر لأحمد عبود، وأحد الموظفين العاملين في شركاته، لكنه تفوق من حيث الثراء على أستاذه ورئيسه: «كان من أبرز الشبان الذين يعملون فى شركات عبود باشا، وقد بدأ يعمل حراً منذ قامت الثورة، واستطاع في سنتين أن يحقق عمليات استيراد كبيرة، بل أصبح أهم رجل تعتمد عليه القيادة فى هذه الأمور».

الثراء «تهمَة» مشينة تطول المستثمرين ورجال المال والأعمال قبل ثورة ٢٣ يوليو، لكن ظاهرة الثراء الفاحش لم تتبخر أو تتراجع بعد الثورة، واستمر المجتمع منقسماً إلى أغنياء وفقراء. وبعض هؤلاء الأغنياء الجدد تتجاوز ثرواتهم ما حققه أحمد عبود نفسه، ولعل الفارق الوحيد أن مليونير العهد «البائد» قد أنفق عقوداً ليعتلي القمة، أما تلاميذه فقد وصلوا إلى النتيجة نفسها فى سنوات قلائل!.

- ٥ -

يتسع عالم إحسان عبدالقدوس أيضاً للحديث عما يُقال عن فساد أحمد عبود وانحرافه، وتحكمه بأمواله الطائلة فى إدارة وتوجيه وصناعة القرار السياسى، بما يخدم مصالحه

ويحقق أهدافه.

مدحت نور الدين، فى قصة «حتى لا يطير الدخان»، يعلن عن الآراء السابقة بشكل صريح مباشر عنيف: «عبود باشا بيشترى الوزارات ... دفع للملك خمسة ملايين علشان يسقط وزارة ويجيب وزارة .. طيب، نجيب عبود نفسه .. أنا سأقترح على بابا الباشا أن يطالب بتعيين عبود باشا رئيساً للوزراء.. ده الحل الوحيد .. ماحدش يقدر يحكم مصر إلا مليونير..».

ويرد صديقه حسن خليل ضاحكاً ساخراً: «ماتيجى نبعت له سنية يمكن تقنعه..»!.

وهكذا تختلط أخبار السياسة وشائعات الفساد وشراء الوزارات، بالفكاهة الجنسية التى تتوافق مع أجواء «الغرزة» التى يدور فيها الحوار!.

عبر مراحل مختلفة من التاريخ السياسى المصرى، لايتوقف طوفان الشائعات مجهولة المصدر فاقدة المصداقية، وإذا كان الصدام بين وزارة نجيب الهلالى وأحمد عبود من الحقائق الثابتة، وسقوط الوزارة بعد فترة قصيرة حقيقة أخرى، فإن اجتماع هاتين الحقيقتين لا يفضى بالضرورة إلى تحويل كل ما يقال من شائعات إلى حقائق لاتقبل الشك أو النقض!.

لقد بلغت الدقة بصانعى حكاية الرشوة، التى قيل إن أحمد عبود قد دفعها إلى الملك فاروق، إلى تحديد المبلغ وجهة إيداعه في بنك سويسرى، لكن حياة الملك فاروق فى المنفى لاتنم عن امتلاكه لمثل هذه الثروة، فضلاً عن أن عبود نفسه، ولأسباب اقتصادية ونفعية، ليس ممن يغامرون ويقامرون بكل هذه الملايين دون حساب أو ضمانات!.

-٦-

أحمد عبود هو مضرب المثل في الغنى والثروة، واختصار مكثف دال لبعض جوانب الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى قبل ثورة يوليو . وفى «الحياة فوق الضباب» ، يستخدم الشاب الماركسى الارستقراطى كمال يحيى الروزنامجى ، ابن الباشا الوفدى ، اسم المليونير عبود لشرح أفكاره الماركسية التى يفهمها بشكل مشوه: «وقد يهتم صاحب المصنع بتوفير مطالب الحياة للآلة حتى يضمن تشغيلها. ولكنه لا يهتم بتوفير مطالب الحياة للعامل، . لأنه لو تركه يموت فسيجد غيره ، وأقصد توفير المطالب المتساوية أى يعيش الفلاح والعامل في نفس المستوى الذى يعيشه أبى وعبود باشا» !

أى منطق هذا؟! وكيف يتسنى تحقيق المساواة بين الفلاح والعامل من ناحية، والباشوات وكبار الأغنياء من ناحية أخرى؟. وإذا تحققت المساواة المنشودة ، فهل تكون بارتفاع الكادحين إلى المستوى الأعلى ، أم بالالتقاء في حياة وسط ، تترجم بشكل واقعى مفهوم «مطالب الحياة»؟!.

لغة ركيكة بعيدة عن التماسك، وخلل نابع من فهم قاصر للفكر الماركسى ، ومن الاستعانة غير الواعية بنمط من الحياة

يستحيل أن يصل الجميع إليه ، إلا إذا تحول الشعب كله إلى مليونيرات ! .

-٧-

إحسان عبدالقدوس ليس متعاطفاً مع أحمد عبود، لكن عموم إبداعه الروائي والقصصي يبرهن على أنه ليس الفاسد الوحيد في عالم من الملائكة والأخيار، وأن النظام القديم «البائد» الذي ينتمي إليه، ويمثل علامة من علاماته، لم يكن النظام الوحيد الفاسد المسكون بالخلل والانحراف .

مثل هذا المنهج يتبناه كتيبنا هذا، فالمسألة ليست في إدانة أحمد عبود أو الدفاع عنه، وليست في تأكيد فساده أو تبرئته من الاتهامات المحيطة به ، لكن جوهر القضية المطروحة يتمثل في ثلاثة مرتكزات .

المرتكز الأول أن نجاح أحمد عبود ليس مردوداً إلى الفساد ، ولا يمكن أن يكون . ولو صح أنه مارس قدرا من الانحراف والسلوك غير السوي ، فإنه – في الوقت نفسه – كان مسلحاً بما يتيح له النجاح ، فالفساد قد يكون عاملا مساعدا في صعوده وازدهاره ، وليس عاملا وحيدا رئيسيا.

المرتكز الثاني هو ضرورة التمسك بالموضوعية والإنصاف والاعتدال عند تقييم العهود المختلفة والرموز الذين يصنعون

إطارها العريض، فليس من المنطقى فى شىء أن تكون الرؤية أحادية متجنية ، فتتحول تجربة مليونير عصامى ذى بصمة وتأثير ، إلى تجربة فساد لا توجد دلائل يقينية عليه .

المرتكز الثالث هو الإقرار بوجود الفساد والخلل فى كل زمان ومكان، وشيوع الظاهرة لا ينفى تطرف من يذهبون إلى أن كل ناجح فى عمله الاقتصادى هو من الفاسدين بالضرورة، فليس صحيحاً فى المقابل أن كل فاسد لابد أن يكون من الناجحين .!

الفصل الثانى

من القاع إلى القمة

-١-

الصورة النمطية الأكثر شيوعا عن المليونيرات وكبار رجال الأعمال والاستثمار ، في مصر ، أنهم ولدوا وفي أفواههم ملاعق من ذهب ، ونشأوا في قصور مليئة بالخدم والحشم، وتلقوا تعليما رفيعاً في أرقى المدارس والجامعات، ووجدوا السبيل ممهدا عبر ثروات طائلة موروثة، تقودهم بلا عناء إلى مزيد من الصعود والازدهار والنجاح .

قد تصح هذه الصورة أحيانا ، لكنها ليست قاعدة راسخة مستقرة، وتجربة «المليونير» أحمد عبود تؤكد أنه الأجدر والأحق بلقب «العصامي» ، فقد بنى نفسه دون اعتماد على ميراث سابق التجهيز . بدأ من القاع . وولد في أحد أكثر أحياء القاهرة شعبية وعراقة : «باب الشعرية»، ولم يكن أبوه من أعيان الحي ووجهائه وتجاره الموسرين، فهو صاحب حمام شعبي قبل أن تنقرض هذه الحمامات وتندثر ، وذو إيراد محدود قد يرتقي به الى مقام «الستر» ، لكنه لا يؤمنه تماما من مخاوف السقوط في هاوية الفقر .

أقصى ما يمكن قوله عن أحمد عبود، من حيث البداية والنشأة . إنه ينتمي الى القطاع الأدنى من الطبقة الوسطى ، ولذلك كان نجاحه في المرحلة الأولية للتعليم إنجازا لا يتكرر

كـثـيـرا عند أبناء طبـقـتـه . أمـا الـتـحـاق أحـمـد بمدرسـة «المهندسـخـانة» وتخـرجـه فـيـهـا، فـهـو حلم يـحـتـاج إلى جـهـود وتضـحـيـات ، ويفـرض على الطالب الشـاب أن يشـقى ويعـمل مـسـاعـدا لأبيـه في الإدارة اليـومـيـة للعـمل داخـل الحـمـام الشعبى.

لا مـلاعق ذهبـيـة أو أبراج عـاجـيـة ، فـالنشـأة فـي باب الشعرية، والتجربة الأولى مع العمل وكسب الرزق في حمام لا يقصده إلا الفقراء ومتوسطو الحال، فإذا صعد أحمد عبود إلى قمة الثراء والنجاح المادى ، وفرض نفسه واحدا من أعلام الاقتصاد المصرى قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فإنه يستحق لقب «العصامى» ، ولا يجادل في استحقاقه للقب إلا من يخاصم الإنصاف والموضوعية .

- ٢ -

أرمنت مدينة صغيرة تقع في أقصى الصعيد، وفي شهر أبريل سنة ١٨٥٧ هبط عليها مجموعة من نظار ومفتشى أملاك الدائرة السنية، يحملون إلى سكان المكان البعيد الهادئ فرماناً يقضى بضم أراضى المنطقة إلى ملكية العائلة الحاكمة، وسرعان ما اقترنت أرمنت بزراعة القصب، وانتقلت ملكية أراضيها إلى الفيكونت هنرى جبرييل ، الشهير بالكونت

فونتارس .

عاش الكونت في مملكته الصعيدية حياة أسطورية يضرب بها المثل في البذخ والترف، فقد بنى قصرا ضخما يطل على النيل، وألحق به حماما تركيا مبطنا بالخشب، وفر فيه كل مظاهر الرفاهية كأنه يعيش في أرقى العواصم الأوروبية . أو كأنه لم يغادر باريس التي جاء منها .

من باب الشعرية، الحي الشعبي القاهري العريق، انتقل خريج المهندسخانة الشاب أحمد عبود ليعمل في وابورات تفتيش الكونت الفرنسي ، ولعل الأحلام قد راودته وهو يرمق القصر الفاخر لأول مرة، أن يملك قصراً مثله ذات يوم ، وهو حلم تحقق بعد سنوات بعد أن آلت ملكية القصر اليه !.

لم يكن الأجر الشهري يزيد على خمسة جنيهات، ولأن العمل ليس ممتعاً شيقاً، فضلا عن أنه لا يبشر بآفاق تتوافق مع الطموح الذي يسكنه ، فقد استقبل أحمد عبود قرار فصله بلا أسف، وقرر أن يعمل في مجال جديد أكثر رحابة . ومن باب الشعرية وأرمنت ، إلى فلسطين .

قد يكون مفيدا أن نشير هنا إلى أن الإنجليزية مارجريت، التي قتلت زوجها الأرستقراطي المصري على كامل فهمي وظفرت بالبراءة بعد محاكمة حظيت باهتمام واسع من الرأي

العام المصرى ، خلال فترة العشرينيات من القرن العشرين ، كانت هى الصديقة المقربة للكونت الفرنسي الذى عمل عبود موظفا عنده. وقد تناقل فلاحو أرمنت ما فعله المالك الفرنسى عند آخر زيارة لصديقته هذه قبل انقطاعها عنه ، فقد اشترى لها من الأقصر عقودا وخواتم أثرية وهدايا لأصدقائها فى لندن ، بما قيمته ستة آلاف جنيه ! .

-٣-

كان العمل الجديد للمهندس الشاب أحمد عبود ، عندما انتقل إلى فلسطين، مع أحد مقاولى الطرق والكبارى . ولأن عمليات هذا المقاول تتم مع الجيش الإنجليزى ، وهو ما يتيح له والعاملين معه فرصة الاقتراب من قيادات إنجليزية معظمهم من العسكريين ، فقد تعرف أحمد عبود على مدير الأشغال العسكرية للجيش الإنجليزى وتعمقت الصلة بينهما بما يتجاوز المعرفة إلى الصداقة الوثيقة .

لم تكن هذه العلاقة فى ذاتها هى نقطة التحول فى حياة أحمد عبود ورحلته الاقتصادية ، لكن الانقلاب الحقيقى الخطير بدأ مع قصة الحب التى ربطته بابنة الضابط الإنجليزى الكبير ، وهى قصة أفضت إلى الزواج، وأسفرت عن الابنة الوحيدة للاقتصادى المصرى الكبير ، مونا أحمد عبود .

بالزواج ارتقت علاقات أحمد عبود مع الإنجليز من العمل والصداقة إلى النسب والقرابة، وكان منطقيا أن يستقيل المهندس الكفء الذكى الطموح من العمل مع المقاول ليستقل بعمل خاص، يستثمر فيه وضعه الجديد. ويحظى بخدمات متتالية من والد زوجه ، الذى أسند إليه معظم أشغال الجيش الإنجليزى فى فلسطين، ثم أعانه على تولى أعمال مماثلة فى مدن القناة بمصر. ومن تراكمات الأرباح الهائلة التى حققها عبود فى هذه العمليات الأولى، بدأ رحلته فى الصعود من القاع الى القمة ، وتنوعت أعماله لتشمل النقل بالسيارات والبواخر ، وصناعة السكر والأسمدة، فضلا عن ملكية الأراضى الزراعية وعضوية مجالس إدارات العديد من الشركات، ومع انتصاف الثلاثينيات من القرن العشرين ، كان اسم أحمد عبود قد رسخ فى قائمة أغنى أغنياء مصر .

- ٤ -

كانت السياسة الاقتصادية فى مصر، منذ مطلع القرن العشرين حتى عام ١٩٣٠ ، تقوم على أساس الاقتصاد الحر بلا قيود ، وقوام الفلسفة السائدة أن النشاط الفردى هو الدعامة التى يدور حولها البناء الاقتصادى ، وعلى كل فرد أن

يضع قانون عمله الاستثمارى وفقا لما يراه ، أما عن الدولة فلا شأن لها ولا مبرر لتدخلها .

مع بداية الأزمة العالمية بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ بدأ التراجع النسبى عن تبنى سياسة الحرية الاقتصادية المطلقة، وشرعت الدولة فى التدخل بفرض الحماية الجمركية، وإعادة النظر فى الاتفاقيات التجارية بين مصر وأوروبا.

كان الكساد الكبير عاملاً مشجعاً للتوسع الصناعى فى مصر، فقد عجزت الرأسمالية العالمية عن إحكام قبضتها على الدول التابعة، واتسع المجال أمام رأس المال المحلى. ومع عدم القدرة على الاستيراد لتغطية الاحتياجات المحلية، كان منطقياً ومبرراً أن يتزايد الاعتماد على الإنتاج المحلى لتلبية احتياجات السوق.

عام ١٩٣٠ فاصل بين عهدين، وبداية لنمو الصناعة المصرية وجذب المزيد من المستثمرين إليها، وازدادت الظروف الموضوعية تحسناً بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦، التى حققت قدراً من الاستقرار يعين على تقدم النشاط الاقتصادى.

على الرغم من كل ما طرأ من تحولات وتطورات، لم ينفرد المصريون وحدهم بالعمل فى الساحة الاقتصادية، فالمشاركة مع الأجانب واردة ولا تخلو من فائدة، مردها إلى ما يملكونه

من خبرة وعلم، وإزاحتهم سلوك متكرر عندما تتهيأ الظروف أمام المصريين للانفراد بالعمل، وكان أحمد عبود فى طليعة من استثمروا المناخ الجديد وأفادوا منه.

الاقتصادى المصرى الكبير أحمد عبود، بشهادة الأغلب الأعم من الدارسين والباحثين أحد أبرز رجال الصناعة والاستثمار فى مصر خلال هذه المرحلة، إن لم يكن أبرزهم على الإطلاق، فقد اقتحم مجالات جديدة كانت حكراً على الأوروبيين وحدهم، وأدار شركاته المتعددة بعلم واقتدار. لا ينكر أعداؤه والمتعاطفون معه حقيقة أنه «عصامى» بدأ من القاع، وأنه ينتمى إلى أسرة مغمورة، أما عن سلوكه العملى فهو بشرى لا يخلو من الأخطاء والتجاوزات، لكن التقييم المنصف الشامل لا ينبغى أن يتوقف عند جانب واحد، أو يعتمد على المعايير الأخلاقية وحدها، دون مراعاة لمناخ الصراع والتنافس.

- ٥ -

ألغى إسماعيل باشا صدقى دستور سنة ١٩٢٣ ليضع دستوراً جديداً سنة ١٩٣٠، وخلال سنوات حكمه عانت مصر سياسياً من قبضته الحديدية وأسلوبه الديكتاتورى. بعد استقالته من رئاسة الوزراء فى سبتمبر ١٩٣٠ لأسباب

صحية، انتخب حزب الشعب عبدالفتاح باشا يحيى رئيساً له، وتولى الوزارة. بعد أيام قليلة من توليه، تفجرت أزمة سياسية اقتصادية كان أحمد عبود طرفاً فيها، ويتعلق الأمر بوزير الأشغال العمومية عبدالعظيم راشد باشا، وهو من رجال الملك أحمد فؤاد والمحسوبين عليه، فقد اتهم الوزير بأنه أسند إلى رجل الأعمال المصرى بعض المقاولات بالأمر المباشر، مخالفا بذلك القوانين واللوائح المعمول بها.

نشرت جريدة «السياسة» المعبرة عن حزب الأحرار الدستوريين، والتى يرأس تحريرها المفكر الكبير الدكتور محمد حسين هيكل، تحقيقاً صحفياً مطولاً عما يجرى فى وزارة الأشغال، وكتب الدكتور هيكل نفسه سلسلة من المقالات الساخنة تحمل عنوان «نزاهة الحكم».

المزيد من المعلومات والتفاصيل عن هذه القضية نجدها فى الجزء الأول من كتاب الدكتور هيكل «مذكرات فى السياسة المصرية»، بين صفحتى ٣٥٧ و ٣٦٠، لكن الخلاصة أن علاقة أحمد عبود مع المندوب السامى البريطانى قد أفلحت فى تجاوزه للأزمة العاصفة، فقد تدخل الإنجليز بكل ثقلهم ونفوذهم للضغط على الملك فؤاد، الذى ضغط بدوره على رئيس الوزراء لتقديم استقالته، وجاء

فى كتاب الاستقالة أنه تقدم بها بناء على رغبة الحكومة البريطانية!.

مصالح مشتركة بين أحمد عبود والمندوب السامى، وتداخل واختلاط بين السياسى والاقتصادى، وروائح فساد ومحسوبية، ونهاية ينتصر فيها الطرف الأقوى الذى يحكم من وراء ستار.

قد لا يكون سلوك أحمد عبود مثالياً، وقد تتكرر فى مسيرته بعض الحوادث المشابهة، لكن اللوحة المتسعة تتجاوز مثل هذه الجزئيات ولا تقتصر عليها.

- ٦ -

كانت الحرب العالمية الثانية نقطة انطلاق جديدة فى حياة الاقتصادى أحمد عبود، وإذا كان الشائع المتكرر خلال هذه المرحلة هو ظهور طبقة جديدة من أثرياء الحرب، الذين أفادوا من المتغيرات الجذرية التى لحقت بالمجتمعين المصرى والدولى نتيجة الصراع الطاحن وتداعياته الاقتصادية، فإن الأمر مختلف بالنسبة لأحمد عبود، فهو لم يحقق ثروته من الحرب، بل إنه ازداد ثراء.

كان أسطول السفن الذى يملكه المليونير المصرى بمثابة البوابة السحرية لتحقيق أرباح طائلة، بعد الارتفاع الجنونى

لأسعار النقل، وكان عبود قد اشترى معظم أسهم شركة السكر والتكرير المصرية، المملوكة لرجل الأعمال البلجيكى هنرى نوس، وبعد موت هنرى انتقلت الإدارة إلى ابنه هوج، لكن تجنيد الابن وموته فى الحرب العالمية دفع بأحمد عبود إلى الصدارة والسيطرة، وانفرد وحده بالإدارة. هل تآمر عبود مع أصدقائه الإنجليز لإبعاد الابن عن مزاحمته؟! المقولة يرددها الكثيرون، لكن الحسم ليس ميسوراً.

تشعبت أنشطة أحمد عبود لتشمل عديداً من مجالات العمل، مثل الأسمدة والبترول والتأمين والصناعات الكيماوية والفنادق والسياحة، فضلاً عن تصاعد ملكيته الزراعية وتزايد نشاطه فى تجارة المحاصيل والقطن.

خلال الفترة نفسها، حظى أحمد عبود بمقعد فى البرلمان بشقيه، مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وترأس مجلس إدارة النادى الأهلى منذ سنة ١٩٤٦، وتحول بإيجاز إلى أحد أهم الشخصيات المصرية قبل ثورة يوليو ١٩٥٢.

مما يؤكد قوة ونفوذ أحمد عبود أنه لعب الدور الأكبر فى إجبار طلعت حرب، أشهر أعلام النهضة الاقتصادية المصرية، على الاستقالة من بنك مصر الذى أسسه واقترن باسمه، فقد اشترك عبود ومحمد فرغلى باشا، ملك القطن، فى تنفيذ

سياسة قوامها سحب ودائعهما من البنك بمعدل نصف مليون جنيه يومياً، حتى بلغ السحب ثلاثة ملايين جنيه، وهددت الحكومة التى يرأسها حسين سرى بسحب ودائعها، فلم يجد طلعت حرب مفراً من الاستقالة، وخلفه فى المنصب رجل الملك وصديق عبود الأثير: حافظ عفيفى.

إنه رجل أعمال لا يعترف بالعواطف ولا يعرف السلوك المثالى، وفى هذا السياق وحده يمكن تفهم دوافعه، فهى من منطلق المصلحة التى يبحث عنها ويقاتل فى سبيلها.

- ٧ -

قد يكون هوج نوس من ضحايا أحمد عبود، وربما يكون الشاب البلجيكى ضحية لمؤامرة متقنة أطاحت به من الشركة والحياة معا، لكن الأمر يختلف بالنسبة للفيكونت هنرى جبرييل، أو الكونت فونتارس، وهو أول من عمل عبود فى مملكته الصعيدية بعد التخرج مباشرة.

فى العام ١٩٣٦، هاجر الكونت الفرنسى إلى البرازيل، بعد أن اشترى مزرعة فيها وقرر الاستقرار هناك، أما أراضيه فى مدينة أرمنت فقد آلت بالشراء إلى المهندس المصرى أحمد عبود، الذى كان يتقاضى من المالك القديم خمسة جنيهات شهرياً. اشترى عبود المملكة التى بدأ فيها

رحلته موظفاً صغيراً، بكل ما فيها من منشآت ومنازل ومخازن ووابورات وحظائر بستين ألف جنيه!. ولاستيعاب قيمة الصفقة بمعايير اليوم، تكفى الإشارة إلى أن مساحة الأرض الزراعية وحدها تزيد على خمسة آلاف وثمانمائة فدان، وهو ما يعنى أن الفدان بما يضمه من المنشآت والآلات لا يزيد على عشرة جنيهات!.

سجل أحمد عبود الأراضي المشتراة باسم ابنته الطفلة مونا، وعندما وصل إلى أرمنت كان قد وضع نصب عينيه أن يستحوذ على شركة نوس البلجيكية للسكر، وقد أقامت مصنعها فى تلك المنطقة لأنها تنتج أجود أنواع القصب، وقد نجح بالفعل فى مسعاه.

اتبع أحمد عبود سياسة بالغة الذكاء فى التعامل مع الصفقة هائلة المساحة، فقد وقع اختياره على ثلاثة أفراد من العائلات الكبيرة فى المنطقة وأجر لكل منهم خمسمائة فدان، واختار أربعة آخرين ليؤجر للواحد منهم مائة فدان، وأجر المساحة الباقية للفلاحين العاديين بمتوسط يتراوح بين خمسة وخمسة عشر فداناً للفرد الواحد.

لم يختلط عبود مع الفلاحين بشكل مباشر، ولم يكن يزور أرمنت إلا ثلاثة أسابيع كل عام: من منتصف ديسمبر إلى

نهاية الأسبوع الأول من يناير. وللاستمتاع بالأيام القلائل التى يقضيها مع زوجه وابنته، بنى المليونير حماماً للسباحة وملاعب للجولف والبولو والاسكواش والتنس. وعندما كبرت مونا وتزوجت من المهندس محمد على حسين، بنى لها قصراً خاصاً بلغت تكلفة بنائه ثلاثين ألفاً من الجنيهات، أما قيمة الأثاث والمفروشات فقد تجاوزت ذلك المبلغ!.

يُذكر لأحمد عبود أنه بنى فى أرمنت مدرسة ثانوية ومستوصفاً للعلاج، وقد أُنتخب نائباً عن الوفد فى الدائرة سنة ١٩٤٢، ورشح نفسه مرة أخرى سنة ١٩٤٥، لكنه فوجىء بإصرار القطب الوفدى أبو المجد الناظر على خوض الانتخابات، وهو واحد من أبطال ثورة ١٩١٩ وممن يتمتعون بشعبية جارفة. رفض الناظر أن يتنازل على الرغم من الضغوط التى مارسها الزعيم مصطفى النحاس لإقناعه، وأرسل أبو المجد إلى زعيم الوفد برقية شهيرة يقول فيها:

«شاورت نفسى وأهلى فأبوا»!

وسقط أحمد عبود فى الانتخابات.

- ٨ -

لم يكن أحمد عبود منشغلاً بالقضايا السياسية إلا فى إطار السعى إلى الحفاظ على مصالحه الاقتصادية، وقد كان

عضواً في مجلس النواب والشيوخ، منتمياً إلى القلة التى تعبر عن الجناح الصناعى فى الرأسمالية المصرية، مقابل أغلبية جارفة تعبر عن كبار ملاك الأراضى.

لعبت الطائرة الخاصة لأحمد عبود دوراً مؤثراً فى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢، فقد عاد بها مصطفى النحاس من الأقصر لتشكيل الوزارة التى جاءت فى أعقاب الإنذار الإنجليزى للملك فاروق، ومحاصرة الدبابات لقصر عابدين. كان السفير الإنجليزى مايلز لامبسون ضيفاً على قصر عبود فى أرمنت، وقيل إنه عُقد اجتماع ثلاثى بمشاركة النحاس، أسفر عن تشكيل الوزارة قبل الإعلان عنها رسمياً.

القصر نفسه شهد تردد عدد من كبار شخصيات المرحلة، وبخاصة من الأجانب، وفى مقدمة هؤلاء السفير الأمريكى جيفرسون كافرى، والوزير البريطانى فى الشرق الأوسط كايسى، والوزير المفوض ألن شون.

وفى سياق الدور الذى لعبه أحمد عبود فى السياسة المصرية، تناثرت أقوال كثيرة عن الرشوة التى دفعها الاقتصادى الكبير للملك فاروق حتى يقيل وزارة الهلالى، وكان عبود على خلاف معها لأسباب ضرائبية.

شاع فى العام ١٩٥٢، بعد حريق القاهرة والوزارات

قصيرة العمر التى توالت على الحكم، أن أحمد عبود قد أسقط وزارة الهلالى التى رفعت شعارات التطهير ونزاهة الحكم، وكان السبب فى ذلك مطالبة الوزارة لشركاته بضرائب تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات!. قيل إن عبود دفع للملك مليون فرنك مقابل قرار الإقالة، وقيل أيضاً إنه شكل وزارة حسين سرى من قصره فى أرمنت!.

حكايات وشائعات لا مصدر لها ولا منطق فيها، وليس أدل على التهافت من أن الملك قد كلف حسين سرى فلم يحقق نجاحاً، فإذا به يعود إلى الهلالى من جديد!.

- ٩ -

عشر سنوات قضاها أحمد عبود فى مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو، ولم تكن أهداف الثورة وتوجهاتها خلال هذه السنوات إلا محاولة لتشجيع الرأسمالية المصرية للمشاركة فى عملية التنمية. ليس من سبب للعداء والتوتر، والاقتصادى المصرى الكبير يتسم بالعقلانية والحرص على مصالحه، فهو ليس من رجال الملك أو الأحزاب، بل إنه رجل نفسه فى المقام الأول.

لم يكن الرئيس عبدالناصر عاجزاً عن التنكيل بأحمد عبود، لكن الوقائع تشير إلى أنه تعامل معه بشكل ودى، وقدر للرجل دوره فى تقدم الصناعة المصرية. وبعد قرارات التأميم

سنة ١٩٦١، كـان من المنطقى أن يرحل من فـقـد كل شئ. استـغرق البناء الضخم عشرات السنوات، ثم سقط كله فى لحظة واحدة!.

ما البناء الذى شيده أحمد عبود؟!

ما أهم المصانع والشركات والمشروعات التى أسسها؟!

هذا ما ينبغى التوقف عنده، حتى تكتمل ملامح المشهد.

الفصل الثالث

مشروعات وشركات

-١-

منذ سنة ١٩٣٠، تزايد دور الحكومات المصرية على الساحة الاقتصادية، وكان القرار الذى أصدره رئيس الوزراء إسماعيل صدقى، ويقضى بالتفضيل المطلق لمنتجات الصناعة المصرية فى المناقصات الحكومية، من المطالب التى ألح عليها اتحاد الصناعات، وهو ما تحقق عبر عديد من القوانين والتوصيات التى تعثر تنفيذها بشكل كامل، ذلك أنها واجهت جملة من العوائق والعقبات التى لا يسهل التغلب عليها.

فى السياق نفسه، كان «التمصير» مطلباً وطنياً يحظى بإجماع من كافة القوى السياسية والاتجاهات الفكرية، وهو ما يعنى أن يحل المصريون فى مجالات الاستثمار والإنتاج التى يحتكرها الأجانب ويسيطرون عليها.

كان إنشاء وزارة للتجارة والصناعة، وفقاً للمرسوم الملكى الصادر فى العشرين من ديسمبر سنة ١٩٣٤، خطوة بالغة الأهمية لتفعيل الطموحات الوطنية فى الشأن الاقتصادى، فقد قامت الوزارة بنشاط بارز يتمثل فى إيفاد البعثات العلمية إلى الخارج، لإعداد أخصائيين متميزين قادرين بعد عودتهم على تحمل المسئولية فى الإنتاج الصناعى بمفاهيم

علمية حديثة، كما أنها استقدمت الخبراء الأجانب للاستعانة بهم فى ترقية بعض الصناعات القائمة، وتأسيس صناعات جديدة، وشرعت الوزارة أيضاً فى تبنى سياسة منح القروض للمستثمرين الجادين الراغبين فى اقتحام مجال العمل الصناعى.

يمكن القول إن الحكومات المصرية المتعاقبة منذ سنة ١٩٣٠، ومع تباين توجهاتها السياسية واختلاف الانتماءات الحزبية لها، سعت إلى تشجيع رجال الصناعة والعمل على تحقيق نهضة حقيقية شاملة، وتتمثل الملامح الأساسية لهذا التوجه فى التعريفة الجمركية، توفير الائتمان الصناعى، تقديم الإعانات المادية المباشرة. وعند تقييم حصيلة الإنجاز، لا يمكن إغفال النظر إلى العوامل السلبية المضادة المعاكسة: غياب الاستقرار السياسى من ناحية، ومعارضة الأجانب لكل ما يناقض مصالحهم أو يقلص نفوذهم من ناحية أخرى.

كان المأزق الذى واجهته الحكومات المصرية المختلفة، قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، يتمثل فى ثنائية الضغوط التى تتعرض لها: اتحاد الصناعات ومطالبه الوطنية المشروعة المنطقية من ناحية، والدول الأجنبية التى تدافع عن مصالح رعاياها ونفوذهم المهدد بالتراجع من ناحية أخرى.

فى أبريل سنة ١٩٣٠، تغير اسم «جمعية الصناعات بالقطر المصرى» إلى «الاتحاد المصرى للصناعات»، وكان الاتحاد يضم خليطاً من المصريين والأجانب، لكن الغلبة فى التأثير كانت لغير المصريين، قبل أن تبدأ حركة نشيطة للتمصير، دون أن يعنى ذلك عداء الأجانب الذين يسهمون بقسط وافر فى النشاط الاقتصادى بشكل عام، وفى الحركة الصناعية على وجه الخصوص.

وقد يكون ضرورياً أن نشير هنا إلى الكلمة التى ألقاها هنرى بك نوس، رئيس مجلس إدارة اتحاد الصناعات، وهو بلجيكى الأصل، فى اجتماع الجمعية العمومية المنعقد فى شهر أبريل سنة ١٩٣٤، فهو يؤكد فى خطابه غياب التمييز بين الأعضاء على أسس عرقية، ويرى أنهم مصريو المولد والنشأة، وأن الجميع متفقون فى تحقيق المصلحة التى تعود ثمارها إلى عموم المجتمع المصرى.

فى مارس سنة ١٩٣٧، تشكلت لجنة منبثقة من الاتحاد، لا تضم فى عضويتها إلا المصريين وحدهم، للعمل على جذب أعضاء مصريين جدد، وكان أحمد عبود من أعضاء اللجنة، فهو عضو فى مجلس إدارة الاتحاد منذ سنة ١٩٣٥.

- ٢ -

ولدت فكرة البنك الصناعى سنة ١٩٤٠، ولم تكتمل

إجراءات التأسيس إلا سنة ١٩٤٧، بعد صدور القانون رقم ١٣١ لعام ١٩٤٧، مرخصاً للحكومة بالمشاركة فى الإنشاء، على أن يكون نصيبها ٥١فى المائة من قيمة الرأسمال المحدد بمليون ونصف المليون من الجنيهات، ونص القانون أيضاً على أن تكون حصة الحكومة بالنسبة نفسها فى أسهم البنك، عند التأسيس وفى ظل الزيادات الجديدة لرأس المال.

الحصة المتبقية، فى رأس المال والأسهم المطروحة للتداول، كانت من نصيب قطاع التأمين والشركات العامة والأفراد، أما الفلسفة المعلن عنها للبنك فتدور حول النهوض بالصناعة المصرية والقيام بالعمليات المصرفية المتصلة بها.

فى سبيل تحقيق هذا الهدف، كان البنك مسئولاً عن إنشاء وتدعيم المؤسسات الصناعية، ومساندة الصناعة بتوفير ما يلزمها من المواد الخام والآلات، فضلاً عن تقديم السلف وتشجيع خريجى المعاهد الفنية للقيام بالمشروعات الصناعية.

كان مشروع البنك جديداً من نوعه، ولذلك أحجم كثير من المستثمرين عن المشاركة فيه، أما أحمد عبود فوقف فى طليعة المساهمين ونشط فى أعمال البنك والمراهنة على الدور الذى يمكن أن يقوم به، واشترى عشرة آلاف سهم.

خلال سنوات الصعود والازدهار، كون أحمد عبود شركة

عملاقة حملت اسمه وترأس مجلس إدارتها، كما أنه كان عضواً فى مجالس إدارات تسع شركات أخرى، فضلاً عن أنشطته فى الاتحاد المصرى للصناعات والبنك الصناعى والمجالس التشريعية.

-٣-

كانت النهضة الاقتصادية الصناعية هدفاً وطنياً جليلاً بين ثورتى ١٩، ٥٢، وكان التمصير هدفاً آخر لا يقل أهمية، اجتهد الكثيرون فى سبيل تحقيق الأهداف المنشودة وأخطأوا وأصابوا، وعند تقييم جهودهم وأعمالهم لابد من مراعاة الظروف التاريخية وما يعتمل فيها من عوامل معاكسة مضادة، من هذا المنطلق يمكن النظر إلى الدور الذى قام به أحمد عبود فى شتى المجالات الاقتصادية والصناعية فقد شارك الاقتصادى الكبير فى أنشطة متعددة، من أهمها صناعة السكر، والنقل البحرى، وصناعة الأسمدة والكيماويات والتقطير والنسيج، فضلاً عن مساهمات أخرى فى مجالات التأمين والبنوك والفنادق والسياحة.

الأغلب الأعم من الساحات التى اقتحمها عبود كانت حكراً على الأجانب وحدهم، واستطاع الرجل بكفاءته وجديته وإصراره أن يزاحمهم ويتفوق عليهم وينتزع منهم ما كان

خالصاً لهم.

طالته اتهامات شتى، وحامت حوله شبهات معظمها غير صحيح وبلا توثيق، لكن المحصلة النهائية تتجسد فى حقيقة لا يمكن إنكارها وهى نجاحه العملى فى إثبات قدرة المصريين على التفوق، مسلحين بالعلم والرغبة فى الانتصار على العراقيل، كما أنه قدم أنموذجاً غير مسبوق فى الإدارة الواعية، التى أعانته على التحكم المنضبط فى آلاف العاملين والعمال، بكل ما يحيط بهم من مشاكل وصراعات.

عمل أحمد عبود فى ظل حكومات ثورة يوليو حتى تعرضت ممتلكاته للتأميم والمصادرة والحراسة، وآلت مشروعاته جميعاً إلى الثروة الوطنية التى تتجاوز الأفراد والحكومات. المقارنة بين إدارته وإدارة من جاءوا بعده تكشف بوضوح عن الفارق الهائل، فهل يرتبط الأمر بالكفاءة وحدها، أم أنه يتعلق أيضاً بشكل الملكية والحوافز التى تدعو إلى الإنجاز والنجاح؟!.

- ٤ -

يرجع الفضل إلى بعض رجال الأعمال الفرنسيين فى إقامة صناعة السكر فى مصر، ففى سنة ١٨٩٢ تأسست الشركة العاملة لمصانع السكر بالوجه القبلى، وفى العام

التالى أُقيم مصنع للسكر فى الحوامدية، ونص الاتفاق أن تحصل الحكومة المصرية على نسبة ٩,٥ فى المائة من أرباح الشركة.

قصب السكر هو المحصول الرئيسى الثانى فى مصر بعد القطن، ولذلك اتسع نشاط الشركة الفرنسية، وتدخلت الحكومة لمساعدتها خلال الأزمة الاقتصادية العالمية التى بدأت سنة ١٩٢٩، عندما غزا السكر الأجنبى أسواق مصر بأسعار زهيدة. وبفضل هذه المساعدة، عُقد اتفاق جديد سنة ١٩٣١، قبلت الشركة فيه أن تحصل الحكومة المصرية على نسبة متزايدة من الأرباح.

بعد وفاة مالك الشركة هنرى نوس سنة ١٩٣٨، استحوذ أحمد عبود على العدد الأكبر من أسهم الشركة، وفى أعقاب تجنيد الابن هنرى ومصرعه فى الحرب العالمية الثانية، انفرد الاقتصاد المصرى الكبير بالسيطرة المطلقة.

كان الإنتاج قبل الحرب العالمية الثانية يصل إلى ١٥٠ ألف طن، واستمرت الزيادة حتى وصل الإنتاج إلى أكثر من ٢٢٠ ألف طن سنة ١٩٤٨. صمدت شركة عبود خلال سنوات الحرب بكل ما يحيط بها من صعوبات، ونجحت فى سد احتياجات السوق المحلية، وتوجه الفائض لتموين قوات

الحلفاء المحاربة.

ولأن السكر سلعة حيوية، لا يمكن الاستغناء عنها فى أوقات السلم والحرب معاً، فقد أولى أحمد عبود اهتماماً كبيراً بمستقبل هذه الصناعة، وواظب على عمليتى التجديد والإحلال، ووضع نصب عينيه دائماً تقلبات السعر العالمى وما يترتب على ذلك من تأثير فى الإطار المحلى.

المشكلة التى تحدث عنها عبود كثيراً هى اقتران صناعة السكر بالسياسة الزراعية، فأسعار القصب لا تشجع الفلاح المصرى على زراعته، ويبقى القطن هو المحصول الأكثر جاذبية وربحية. وقد استطاع أحمد عبود أن ينشىء أربعة مصانع كبيرة لإنتاج السكر الخام، ومصنعاً ضخماً للتكرير، واستوعبت هذه المصانع آلاف المهندسين والعمال والإداريين.

المثير للدهشة بحق، أن بعض الذين كتبوا عن الرأسمالية الأجنبية فى مصر، قبل ثورة ٢٣ يوليو، كانوا يصرون على أن صناعة السكر ظلت فى أيدى الأجانب، وتجاهلوا أن المصنع الأكبر كان مصرياً خالصاً!.

- ٥ -

كان الأجانب هم المسيطرين وحدهم على كافة أنشطة النقل فى مصر: السكك الحديدية، خطوط الترام، الأتوبيس

والسيارات، النقل البحرى والنهرى.

من أرباحـه الطائلة فى أعـمـال المقـاولات مع الجـيش الإنجليزى بفلسطين ومدن القنال، اشترى أحمد عبود معظم أسهم شركة «نيو كرافت» للنقل بالسيارات فى مدينة القاهرة، لكن الخطوة الأكثر تأثيراً وأهمية تتمثل فى سيطرته على شركة بواخر البوستة الخديوية، التى كانت مصرية، ثم آلت إلى الأجانب، وتمصرت من جديد.

بداية الشركة العريقة كانت مصرية، فقد مهد لتأسيسها الوالى محمد على، وسُميت في عهد الوالي محمد سعيد باسم الشركة المجيدية، وفى عهد الخديو إسماعيل حملت اسم الشركة العزيزية، وفى سنة ١٨٩٨ باعت الحكومة المصرية الشركة إلى مجموعة من المستثمرين الإنجليز وكانت أعمالها الإدارية والفنية تُدار بتعليمات من لندن عن طريق مكتبها فى القاهرة.

قامت الشركة الإنجليزية بتجديد البواخر وتنظيم الخطوط الملاحية والعمل وفق أسس إدارية واقتصادية ناجحة، وفى سنة ١٩٣٤ سيطر أحمد عبود على الشركة منفرداً، وأدخل مزيداً من التجديدات، وأضاف لها خطوطا بحرية جديدة. كما قام عبود بتوسيع الحوض الجاف فى السويس حتى يتسع

لثمانين فى المائة من البواخر التى تجتاز قناة السويس وتحتاج إلى عمليات الترميم والإصلاح، وارتقى الاقتصادى الكبير بأسلوب العمل وصولاً إلى مرحلة بناء السفن فى مصر، وبذلك أدخل صناعة طال العهد بإهمالها، منذ الهزيمة التى مُنى بها محمد على فى نهاية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر.

استوعبت شركة البوستة الخديوية آلاف العمال، ومئات من المهندسين والضباط البحريين، وبرهن عبود من خلالها على حقيقة أن النجاح يبدأ من الإدارة الواعية.

- ٦ -

امتد نشاط أحمد عبود إلى الأسمدة والصناعات الكيميائية، والتقطير والغزل والنسيج، ومعظم هذه المجالات قبله كانت حكراً على الأجانب وحدهم. قرب نهاية الأربعينيات، أسس الاقتصادى النشيط شركة جديدة للأسمدة والصناعات الكيمياوية، وثانية للتقطير والكحول، وكان اختياره قائماً على دراسة واعية لاحتياجات السوق.

أُنشئت شركة التقطير المصرية برأسمال يصل إلى ثلاثة أرباع المليون من الجنيهات، وشغلت مساحة ١٢ فداناً فى مدينة الحوامدية. روعى فى عمليات الإنشاء توافر أجهزة

التنقية الدقيقة، والحرص على الاستثمار الأمثل للخامات المحلية عالية الجودة.

أما «الشركة المصرية - نزهة - للغزل والنسيج»، فتتمثل فلسفة إنشائها فيما يقوله أحمد عبود نفسه: «كم شكونا من أن مصر تزرع القطن بأيدى أبنائها المزارعين لتقدم كمية كبيرة منه لمصانع الغزل والنسيج الأوروبية ذهباً أبيض، يتولون هم غزله ونسجه ثم يبيعونه لنا ثانياً بأسعار فاحشة، تتضخم بها جيوبهم، ونقنع نحن بالنظرة.. ثم الحسرة!».

اشترى عبود شركة «نزهة» للغزل والنسيج»، ولم يكن إنتاج الشركة كاملاً أو متناسباً مع ما ينبغى أن تنتجه شركة مصرية كبرى، بل إنها لم تكن تنتج سوى خيوط الغزل فقط. استدعى أحمد عبود عدداً من كبار الأخصائيين فى أوروبا، واستورد أحدث آلات الغزل، كما اتفق على استيراد ماكينات النسيج من أحدث ما عرفه العالم الصناعى.

كان طموحه أن تنجح الشركة فى تغطية احتياجات المستهلك المصرى، ثم تتجه إلى تصدير الفائض من إنتاجها إلى الأسواق العالمية، وهو المنهج الذى اتبعه فى كافة مشروعاته الأخرى.

- ٧ -

ما أشد الاحتياج إلى تقييم تجربة عبود الاقتصادية من

منظور موضوعى منصف، فقد أنفق الرجل نحو ثلث قرن من حياته، قبل ثورة يوليو، ليبنى ويشيد ويبتكر، ويزاحم الأجانب المسيطرين ويزيحهم، ويجعل من التمصير واقعاً ملموساً، مع الاعتراف بوجود الشوائب والأخطاء.

كان توسعه محسوباً بدقة متناهية، واستراتيجيته تنهض على أسس من الوعى والإدراك للتفاعلات المعقدة فى الساحتين الداخلية والخارجية. أحمد عبود، لمن ينشدون الإنصاف، هو ابن مرحلته التاريخية، بكل ما فيها من ازدهار وسقوط، وبكل ما تتسم به البدايات من أحلام وانكسارات.

قد يتفوق بعض المعاصرين عليه من الناحية الكمية، لكن الجوهر الذى ينبغى الاهتمام به هو الدروس التى قدمها أحمد عبود عملياً، وفى ظل ظروف لا تخفى صعوبتها عند من يضعون التاريخ فى أذهانهم وهم يقومون بعملية التحليل والتقييم.

من القاع إلى القمة، ورحلة عمل مرهقة ممتعة أنتجت الكثير، وشخصية عصامية ثرية يمثل الوعى بمفاتيحها ضرورة لاستيعاب مختلف أبعادها.

الفصل الرابع

مفاتيح الشخصية

- ١ -

من هم أعظم عشرة فى الشرق والغرب خلال النصف الأول من القرن العشرين؟! فى يوليو سنة ١٩٥٠، أصدرت مجلة «المصور» عدداً خاصاً يحمل عنوان «نصف قرن ١٩٠٠ - ١٩٥٠»، وفيه توجهت بالسؤال إلى «طائفة من أقطابنا عن أعظم خمس شخصيات فى الشرق وخمس فى الغرب فى نصف القرن الأخير».

كان أحمد عبود واحداً من هؤلاء الأقطاب، أما الآخرون فهم: صالح حرب باشا، منصور فهمى باشا، عبدالحميد عبدالحق باشا، توفيق دوس باشا، عبدالرحمن الرافعى بك، إدجار جلاد باشا، أحمد زكى بك، محمد محمود جلال بك.

من إجابات أحمد عبود يمكن استنباط مفاتيح شخصيته، وقد جاء اختياره لعظماء الشرق على النحو التالى:

١ - الملك فؤاد

٢ - سعد زغلول

٣ - الملك فاروق

٤ - غاندى

٥ – نهرو

أما عظماء الغرب الذين وقع عليهم اختياره، فهم:

١ – هنرى فورد

٢ – روزفلت

٣ – تشرشل

٤ – هتلر

٥ – ستالين

الاختيار ليس عبثياً بطبيعة الحال، والاقتصادى الكبير يقدم حيثية موجزة، لاتزيد على سطر واحد، للكشف عن أسبابه ودوافعه.

-٢-

يقول أحمد عبود إن الملك أحمد فؤاد «خالق نهضة مصر الذى قفز بها مائة سنة إلى الأمام»، أما الملك فاروق فهو «العاهل الذى حقق لبلاده كثيراً من الأمانى».

أحمد عبود ابن المرحلة التاريخية التى يمثل الملكان أحمد فؤاد وفاروق رمزيها الأكبر، وباختياره لهما يؤكد ولاءه المطلق للعصر الملكى. إنه اقتصادى لا ينشغل إلا بالمال والأعمال، ولم تكن أفكاره وأنشطته السياسية إلا عملاً يحرص فيه على الدفاع عن مصالحه واستثماراته. لو سئل عبود عن طبيعة

وتفاصيل النهضة التى خلقها فؤاد، وعن الأمانى الكثيرة التى حققها فاروق، سيعجز بالضرورة عن تقديم إجابة مقنعة، فالكلمات مرسلة عاطفية فضفاضة، لا غاية لها إلا الهتاف والمبالغة فى إظهار التأييد والانتماء. هو الوحيد الذى اختار فاروق فى قائمة عظماء الشرق، ولم يشاركه فى اختيار الملك فؤاد إلا إدجار جلاد، ذلك أن الباقين قد استوعبوا السؤال بطريقة مختلفة، وقدموا إجابات منطقية جادة لا متسع فيها للمجاملة.

المفتاح الأول هو الرغبة فى التعايش مع النظام السياسى دون صدام، ولا ضير فى سبيل ذلك إذا جامل وبالغ فى المجاملة. ليس ذلك بالغريب على أحمد عبود، فعند زيارة الملك فاروق لجناح شركاته فى المعرض الزراعى الصناعى سنة ١٩٤٩، صرح الباشا للصحفيين بما نصه «إن تشريف جلالة الملك لمنشآتى وتشجيعه لى خير حافز على المضى فى سبيل رفع شأن مصر اقتصادياً فى عهد جلالته الزاهر»!.

كلمات إنشائية يمكن أن تقال عن أى وكل ملك، وتصلح فى كل عهد ونظام، ولا تكلف قائلها شيئاً.

- ٣ -

يختلف الأمر جذرياً عندما يقع اختيار أحمد عبود باشا

على شخصية الزعيم سعد زغلول كواحد من عظماء الشرق في النصف الأول من القرن العشرين، فقد شاركه في الرأى سبعة آخرون من المسئولين فى الاستفتاء، ولم يتخلف إلا عبدالرحمن الرافعى ومحمد محمود جلال، وكلاهما من قيادات الحزب الوطنى، ومن المعادين لسعد وحزبه، والمشككين فى دوره وريادته!.

يقول عبود إن سعد زغلول «زعيم الحركة الوطنية وقائدها. غذاها بوطنيته وجهاده».

الزعيم سعد زغلول بمثابة الأب الروحى للمرحلة كلها، وهو ليس ملكاً للوفديين وحدهم بطبيعة الحال. النهضة المنسوبة إلى أحمد فؤاد، والأمانى الكثيرة التى يُقال إن فاروق حققها، أولى أن تُنسب إلى سعد والثورة الشعبية العظيمة التى قادها، وصاغ أفكارها وتوجهاتها، وأعلن الشعارات التى تمسك بها المصريون عبر عقود متتالية: الاستقلال والدستور والحرية. افتتح الرجل عهداً جديداً فى التاريخ المصرى، انعكست آثاره على الخريطة الاقتصادية، وفى ظل هذا العهد تألق أحمد عبود وأمثاله، وحققوا النجاح والازدهار الذى لم يكن ممكناً قبل الثورة، حيث لا يمكن الفصل والتمييز بين الاستقلالين: السياسى والاقتصادى.

الأغلبية العظمى من المصريين «سعديون»، وإن خالفوا الوفد وعارضوه، فهم أبناء الثورة التى قادها سعد زغلول، قبل أن ينقسم الثوار إلى شيع وأحزاب. عبود ليس وفدياً أو معارضاً للوفد، لكنه سعدى بالمعنى الذى نشير إليه، ويتعامل مع الثورة على اعتبار أنها الأداة الأعظم فى تهيئة مناخ النهضة الشاملة.

المفتاح الثانى هو التشبث بالقيم الوطنية التى تستدعى الإجماع، فالأمة المصرية لا تجتمع على باطل، وزعامة سعد من الثوابت التى تجاوز السياسة والحزبية.

- ٤ -

الهنديان العظيمان غاندى ونهرو، أنموذجان شامخان للنهضة الشرقية، وبلغة أحمد عبود نفسه، فإنه يعتبر غاندى «الزعيم الروحى الذى انتصر على القوى الظالمة»، ونهرو «خليفة غاندى، الذى استوعب سياسة سلفه وترسم خطاه».

إذا كان سعد زغلول رمزاً للنهضة الوطنية المصرية الخالصة، الساعية إلى التحرر الإيجابى من سلطان الغرب وتحكمه، دون قطيعة مع المفيد المناسب من علومه ومبادئه ومعارفه وآليات عمله، فإن غاندى ونهرو يقدمان تجربة مماثلة ناجحة فى شبه القارة الهندية، التى قاداها روحياً وسياسياً.

عظيمان من عظماء النصف الأول، يتجاوز تأثيرهما النطاق المحلى المحدود المحدد، وقد وقع اختيار جميع المشاركين فى الاستفتاء على غاندى، باستثناء الرافعى، أما نهرو فلم يختره فى قائمة عظماء الشرق إلا أحمد عبود باشا، وكأنه من ناحية يؤكد الصلة الوثيقة بين الزعيمين، ومن ناحية أخرى ينتصر لفكرة الاستمرارية، التى تعنى عنده، كاقتصادى محترف، مزيداً من الاستقرار وتزايد فرص العمل الجاد بلا تعثر أو توقف .

لاشك أن كثيراً من السلوكيات الشخصية لغاندى لا تروق لأحمد عبود، ولاشك أيضاً أن الكثير من الأفكار السياسية لنهرو تصطدم مع ثوابت وقناعات المليونير المصرى العصامى، لكن الإقرار بالعظمة لا يعنى الموافقة الكاملة والحب إلى درجة الذوبان، وجوهر الاختيار يشير إلى أهمية التواصل بلا ضجيج.

المفتاح الثالث إذن هو الإعلاء من شأن الاعتدال فى عملية التحول السياسى والاجتماعى حتى لا يهتز الاستقرار، ذلك أن البديل هو الفوضى والاضطراب، والترجمة العملية أن يرتبك الاقتصاد وتتعطل الأعمال وتتهدد المصالح.

- ٥ -

لعل شخصية هنرى فورد هى الأكثر قرباً من عبود، فهما متشابهان فى التركيز على الشأن الاقتصادى، ومتماثلان فى تحقيق الثروة الطائلة عن طريق العمل الصناعى فى سياق القيم الرأسمالية. القياس مع الفارق بطبيعة الحال، لكن تجربة عبود فى مصر «الشرقية»، تحمل الكثير من ملامح تجربة فورد فى الولايات المتحدة الأمريكية.

يقول أحمد عبود لتبرير اختياره هنرى فورد فى أول قائمة عظماء الغرب «مخترع السيارات الذى أثرى بكفاحه، فى ميدان الصناعة». كأنه يتحدث عن نفسه، أو كأنه يتخذ من الرجل الناجح مثلاً أعلى وقدوة يحتذى بها. المستقبل عندهما مزيج مركب من الاختراع والكفاح والتصنيع، ومع تباين مفهوم «العظمة» من جيل إلى جيل، وفى الجيل الواحد من شخص إلى شخص، تبعاً لتباين الثقافة والبيئة والموقع الاجتماعى والفكرالسياسى، فإن أحمد عبود يبدو منسجماً مع نفسه وهو يتمسك بمعنى العظمة التى ترادف عملاً صناعياً منتجاً يقود إلى الثراء.

اللافت للنظر أن جميع المشاركين فى الاستفتاء يتفقون - بلا استثناء - فى الانتصار للعلم والعمل، وإن اختلفوا فى

اختيار الرموز والأعلام، فسنجد فى قائمة العظماء أفذاذاً من العلماء والمخترعين الذين مهدوا للنهوض الاقتصادى فى الحضارة الغربية: أينشتين وماركونى ومدام كورى وفيلمنج وأديسون وباستير، فضلاً عن هنرى فورد، الذى يختاره توفيق بوس باشا واحداً من عظماء الغرب الخمسة، لأنه «المثل الأعلي للشباب المكافح الذى يكون نفسه من لا شيء حتى يصل إلى القمة».

إنه عصر كامل يعلى من شأن المزج الحتمى بين العلم والعمل، وليس اختياراً فردياً من عبود، لكن المحزن أن الشرق يخلو من العلماء، وعلى العاملين فيه أن يعتمدوا على علوم غيرهم!.

المفتاح الرابع يتمثل فى العلم، فبغيره لن يكون تقدم أو ازدهار، ولا معنى للعلم بمعزل عن العمل، فهو الترجمة المادية المباشرة لتكاملية النظرى والعملى.

- ٦ -

الرئيس الأمـــريكى روزفلت، عند عـــبـــود، هو «الرئيس الشجاع الذى كسب ثقة مواطنيه إلى آخر أيامه»، والسياسى البريطانى الشهير تشرشل «الرجل المحنك الجبار، الذى أنقذ بلاده ببعد نظره».

«الشجاعة» و«القوة» هما المقياسان الفاعلان اللذان يعتمدهما أحمد عبود باشا فى تقييم النجاح السياسى والعمل الوطنى الإيجابى، وأكثر ما يميز روزفلت وتشرشل هو القدرة الفائقة على مواجهة اللحظات العصيبة، والبراعة فى عبور المحن والأزمات، والشجاعة فى التعامل العقلانى الناجح مع المواقف الخطيرة التى لا تتطلب الانفعال غير المحسوب، ولا تجدى معها الشعارات الجوفاء والخطب الرنانة. المستهدف هو تحقيق المصلحة الوطنية العليا، وليس من تهديد يفوق الحرب الطاحنة المنذرة بالخراب الشامل، والدمار الذى لا يبقى على شىء.

الرئيس الأمريكى روزفلت «شجاع» ورئيس الوزراء البريطانى «محنك»، وكلاهما يمنح الثقة لأبناء وطنه، ويتسلح بالرؤية الثاقبة الواعية بعيدة النظر. باختيارهما فى قائمة العظماء، يتأكد أن عبود باشا لا يرى عملا انفعالياً أو مقولات إنشائية عاطفية، فالمحك الوحيد هو النفع والفائدة والإنجاز.

لم يتطرق عبود فى أسباب اختياره إلى الديمقراطية وطبيعة النظامين السياسيين فى الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، فالإطار «النظرى» للنظام لا يعنى شيئاً بمعزل عن براعة قادته وقدرتهم على الإدارة المتزنة الحكيمة.

وفى هذا السياق، يضع أحمد عبود فى قائمة اختياراته لعظماء الغرب، فى النصف الأول من القرن العشرين، زعيمين مناقضين لروزفلت وتشرشل من حيث الهوية السياسية، والمشترك الوحيد بين الأربعة يتمثل فى القوة والطموح إلى الإنجاز.

القوة هى المفتاح الخامس، والإيمان بها مدخل بالغ الأهمية فى فهم شخصية أحمد عبود، لكنها القوة المقترنة بالعقل والإرادة، قوة الحكمة والرؤية الشاملة.

-٧-

من الديمقراطية الأمريكية والغربية، إلى النازية والشيوعية: هتلر وستالين!

الإشارة إلى «عظمة» هذين الزعيمين، الألمانى والروسى، لا تعنى الإعجاب أو التأييد، وما ينظر إليه عبود فى تقييمه الهادئ هو الإنجاز، أو الطموح إلى الإنجاز، دون انشغال كبير بالفكر النظرى والممارسة السياسية العملية، ودون توقف عند النتائج السلبية التى ترتبت على نازية هتلر الدموية وشيوعية ستالين القمعية.

هتلر عند عبود «الزعيم القوى الذى امتاز بالشجاعة التى تكاد تكون خيالية»، وستالين هو «السياسى الماكر الذى خلق

معسكراً قوياٍ يخيف الديمقراطيات».

مرة أخرى يلح عبود على الشجاعة والقوة، ويعلى من شأن الدهاء والحنكة. غنى عن البيان أن الرأسمالى المصرى العتيد ليس من الشيوعيين، ولا يمكن أن يتعاطف مع الشيوعية وقادتها ورموزها، كما أنه ليس نازياً، ولا يستقيم أن يكون من دراويش هتلر والمهللين له. المسألة فى بساطة أنه يقوم بعملية تقييم قوامها النظرة الموضوعية، ولهذا تروق له شجاعة هتلر ويثنى على مكر ستالين. طمح كلاهما إلى النهوض بأمته، وحقق كلاهما نتائج مأساوية، دفع الملايين ثمنها فادحاً، لكن هذا كله لا ينفى ما فى طموحهما من تطلع أفسدته الحسابات الخاطئة، فتغير المسار جذرياً.

لا متسع عند أحمد عبود للكراهية، والفصل قائم بصرامة بين الذاتى والموضوعى، وهنا يظهر المفتاح السادس متمثلاً فى الموضوعية التى تزيح العواطف جانباً. قد لا يروق هذا المفتاح للكثيرين ممن تغلبهم عواطفهم، لكن النجاح يتطلب قدراً من الصلابة، وقدراً آخر من الجفاف!.

اختيارات أحمد عبود للعشرة الأعظم فى الشرق والغرب، خلال السنوات الخمسين الأولى من القرن العشرين، تكشف عن مجموعة من مفاتيح شخصيته، فهو لا يتورط فى العمل

السياسى المباشر، ويسعى دائماً إلى التعايش مع الأنظمة القائمة، ويتشبث بالقيم الوطنية التى تتجاوز الأحزاب الحزبية، وينشد الاستقرار والهدوء فى عمليات التحول الاجتماعى، ويدعو إلى المزج بين العلم والعمل، ويعلى من شأن القوة والشجاعة، ويتمسك بالموضوعية والاعتدال فى تقييم من يخالفونه الرأى والمعتقد.

هذه المنظومة المتكاملة من المرتكزات، التى تمثل المفاتيح المهمة للولوج إلى شخصية أحمد عبود باشا، هى الأسلحة التى تزود بها الرجل فى رحلته الطويلة.

- العمل السياسى الهامشى، على الرغم من عضويته فى مجلسى النواب والشيوخ، فالأولوية للنشاط الاقتصادى.

- القوة بمفهومها الشامل المتكامل، التى تعنى القدرة على اتخاذ القرارات المصيرية، ومواجهة الصعوبات والتحديات، دون ارتباك أو انفعال.

- الرؤية العملية النفعية، التى لا تنشغل كثيراً بالمشاعر والعواطف، فالمستهدف هو تحقيق الحصيلة الإيجابية، وليس نوال الإعجاب والتأييد.

- الموضوعية المبرأة من التحامل والأهواء الشخصية، فالتقييم غير المنصف لن يحقق كسباً، والإقرار بمزايا

الخصوم والأعداء هو المدخل الوحيد للوعى بأبعادهم والانتصار عليهم. »

هذه مفردات روشتة النجاح التى التزم بها المليونير العصامى، وباتباعها صعد الرجل من القاع إلى القمة، ومن العمل مساعداً لأبيه فى الحمام الشعبى بباب الشعرية، إلى الاسم الأول فى قائمة مليونيرات مصر وزعماء العمل الاقتصادى فيها.

الفصل الخامس

النادى الأهلى

- ١ -

في أعقاب الاحتلال الإنجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ ، عرفت مصر كرة القدم للمرة الأولى ، وسرعان ما تحولت الرياضة الوليدة إلى اللعبة الشعبية الأولى ، وتأسس الاتحاد المصرى لكرة القدم فى العام ١٩٢١ برئاسة جعفر باشا ولى ، وانضم إلى الاتحاد الدولى بعد عامين من تأسيسه .

الشعبية الكبيرة لكرة القدم فى الحياة المصرية ليست بالسمة الاستثنائية التى تنفرد بها مصر دون غيرها من بلدان العالم ، شرقاً وغرباً، ذلك أنها اللعبة الأكثر انتشاراً وتأثيراً فى مجمل الكرة الأرضية. ومسابقة كأس العالم التى يتم تنظيمها كل أربع سنوات ، بمثابة العرس العالمى الذى ينتظره ويتابعه عدة مليارات من البشر ، ويبثه على الهواء مئات من المحطات التليفزيونية .

بسبب كرة القدم ومبارياتها الساخنة ، اشتعلت معارك

سياسية واجتماعية، وتشكلت مؤسسات وشركات اقتصادية عملاقة، وقامت حرب شهيرة عنيفة بين دولتى السلفادور والهندراوس. الأمر إذن ليس لعباً ولهواً، ذلك أن الرياضة بشكل عام، وكرة القدم على وجه التحديد، نشاط إنسانى مهم متشعب متعدد الأبعاد، واللعبة نفسها، داخل المستطيل الأخضر ، اختصار مكثف للحياة بكل ما يعتمل فيها من منافسات وصراعات ، وهى – على نحو ما – بديل للحروب التى تزهق فيها الأرواح !

-٢-

الولع بكرة القدم . لعباً وتشجيعاً ، ظاهرة تاريخية ممتدة فى الواقع المصرى ، وليس مثل أدب نجيب محفوظ فى تعبيره الفريد عن شعبية الكرة والدور الحيوى الذى تقوم به فى الحياة المصرية . كان نجيب ، فى طفولته وشبابه المبكر، لاعباً بارعاً ، وينعكس اهتمامه الشخصى على إبداعه الروائى الثرى .

فى «المرايا» ، يقدم الكاتب الكبير ما يكشف بجلاء ووضوح عن الشعبية الطاغية لكرة القدم خلال العقد

الثاني من القرن العشرين ، فقد تلقى الراوى الطفل، من أحد أصدقائه، دعوة لمشاهدة مباراة كرة فى النادى الأهلي . وبعد رحلة شاقة من العباسية الى الجزيرة، سيراً على الأقدام، يصل الأطفال الأصدقاء الى ملعب الأهلي ويتسلقون شجرة كبيرة لمشاهدة المباراة مجانا» .

فى ذلك اليوم شاهدت مباراة كرة قدم لأول مرة فى حياتى ، وعرفت لاعبين لم يمح أثرهم من نفسى حتى اليوم، مثل حسين حجازى ومرعى ، ورأيت الإنجليز وهم يلعبون وكنت أعتقد آنهم يقتلون فقط، وهالنى أن أرى على الحسنى وهو يكاتفهم فيطرحهم أرضاً فلا يعقب ذلك معركة دامية. سررت وسعدت ، وبدأت أعشق هواية جديدة، وآمنت بأنه يمكن الانتصار على الإنجليز ولو فى ملعب النادى الأهلى»!.

فضلا عن الإشارة الدالة إلى أسماء أبرز اللاعبين النجوم فى المرحلة التاريخية، حجازى ومرعى والحسنى، فإن التداخل بين الرياضة والسياسة يبدو لافتاً ، والانتصار على الإنجليز فى ملعب الكرة قد يكون بمثابة التعويض عن الهزائم فى الساحات الأخرى خارج الملعب!

الصراع فى كرة القدم ليس «خارجيا» فقط، ضد الإنجليز، بل إنه أيضا صراع «داخلى» يتعلق بالاختلاف حول تشجيع الأندية والتعصب للنجوم . بسبب إعجاب الراوى باللاعب حسين حجازى، يخوض معركة عنيفة مع صديقه الشرس خليل زكى : «اختلف رأيانا فى حسين حجازى ومحمود مختار أيهما أمهر فى اللعب، فقلت إنه حسين حجازى وقال إنه محمود مختار ، ثم كانت ضربة القبقاب فسال الدم على وجهى وجلبابى» ! .

يتغير الراوى وخليل زكى ، ويبقى الخلاف قائما فى «قصر الشوق»«، بين كمال عبدالجواد الذى يماثل الراوى فى حبه لحسين حجازى ، وحسن سليم الذى ينحاز مثل خليل زكى لمحمود مختار، ويتساءل كمال عبدالجواد: «لم يجد نفسه دائما فى الجانب المضاد الذى يقف فيه حسن سليم؟ الوفد الأحرار ، المختلط الأهلى ، حجازى مختار».

يكشف نجيب محفوظ ، ربما دون أن يدرى ، عن انحيازه لنادى المختلط (الزمالك) حالياً وأبرز لاعبيه حسين حجازى فى مواجهة الأهلى ولاعبه المعروف محمود مختار (التتش) ، وعندما يريد نجيب أن يدلل على (جدية) صديقه رضا حماده فى المرايا وتجاوزه لأقرانهم فى

الاهتمامات الشائعة فإنه ينأى به عن الانشغال بالكرة مرموزاً لها بأشهر لاعبى المرحلة حسين حجازى (كان يتكلم عن سعد زغلول أكثر مما يتكلم عن حسين حجازى).

رضا حمادة هو الاستثناء النادر، أما القاعدة العريضة من أطفال وشباب المرحلة، وكل حقبة تالية، فهم من المولعين بكرة القدم ورموزها ونجومها .

-٣-

أجيال متعاقبة من الأطفال والشباب والشيوخ تتعلق بكرة القدم، ومع تعدد وتنوع الانتماءات للأندية الرياضية المتنافسة فى مسابقات اللعبة الشعبية، يبقى الأهلى والزمالك هما الفارسين اللذين يستحوذان على الاهتمام الأكبر والأغلبية الساحقة، احتفل النادى الأهلى بمرور مائة عام على تأسيسه، ويتهيأ الزمالك لاحتفال قريب مماثل، وفى تاريخ الناديين الكبيرين يختصر تاريخ الرياضة المصرية، وتظهر ملامح كثيرة من تاريخ مصر السياسى والاجتماعى.

تأسس النادى الأهلى فى أبريل سنة ١٩٠٧ ، وتوالى على رئاسته خلال السنوات المائة عدد من أبرز

الشخصيات السياسية والاقتصادية والرياضية. الرئيس الأول هو الانجليزى ميشيل أنس، بين أبريل ١٩٠٧ وأبريل ١٩٠٨ ، والرئيس الأخير الحالي هو حسن حمدى ، وبينهما تظهر أسماء عزيز عزت باشا وعبدالخالق ثروت باشا وجعفر ولى باشا ومحمد طاهر باشا وأحمد حسنين باشا وأحمد عبود باشا وصلاح الدين دسوقي والفريق أول عبدالمحسن كامل مرتجي وابراهيم الوكيل وصالح سليم وعبده صالح الوحش.

باستثناء جعفر ولى، الذى حقق رقماً قياسياً فى الاحتفاظ برئاسة النادى بين عامي ١٩٢٤ و١٩٤٤، وأسطورة الكرة المصرية صالح سليم، الذى تولى الرئاسة لمدة تقل قليلا بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨ فى المرحلة الأولى، وبين عامي ١٩٩٢ و٢٠٠١ فى المرحلة الثانية، يبرز اسم الاقتصادى الكبير أحمد عبود كثالث الرؤساء في تاريخ النادى من حيث طول الفترة الزمنية التى قاد فيها مجلس إدارة القلعة الحمراء ، بين فبراير ١٩٤٦ وديسمبر ١٩٦١.

كانت رئاسة أحمد عبود من أزهى الفترات في تاريخ

النادى العريق، فقد أسهم الرجل بأمواله فى عمليات التشييد والبناء والتطوير، وفى ظل رئاسته تحققت بطولات وإنجازات، وإليه يرجع الفضل الأكبر فى إنشاء حمام السباحة والملعب الرئيسى لكرة القدم، وهو الملعب الذى حمل فيما بعد اسم أبرز لاعبى كرة القدم وإدارتها في مسيرة الأهلى : محمود مختار التتش .

- ٤ -

قصة مشروع إنشاء حمام السباحة، كما يقول الأستاذ حسن المستكاوى فى كتابه «النادى الأهلى»، الذى صدرت طبعته الأولى عن دار الشروق سنة ١٩٩٧، تكشف إلى أى مدى كان النادى الأهلى يسبق غيره فى كل المجالات واللعبات، وكيف أن إداراته المختلفة، فى كل عصوره ، كانت تسبق عصرها .

ولدت فكرة إنشاء حمام السباحة سنة ١٩٤٠ ، وشكل مجلس الإدارة الذى كان يرأسه محمد طاهر باشا، لجنة لمتابعة المشروع والعمل على تنفيذه، ضمت فى عضويتها الصحفى الكبير فكرى أباظة، والصحفى «الشاب»

النشيط مصطفى أمين، والدكتور محمود بدوى الشيتى ، فضلا عن السباح اسحق حلمى .

أشارت التقديرات الأولية إلى أن جملة التكاليف، بأسعار سنة ١٩٤٢ ، قد تصل إلى سبعة آلاف جنيه ، واستثمر مصطفى أمين صداقته مع أحمد عبود فدفعه الى التردد على النادى والتعلق به، وتبرع الاقتصادى الكبير بثلاثة آلاف جنيه لدعم إنشاء حمام السباحة، وهو مبلغ يزيد على ٤٠ فى المائة من الميزانية التى كانت مقررة قبل أن ترتفع الأسعار والتكاليف ! .

لم يقتصر دور أحمد عبود على التبرع المالى السخى، فقد كان الاتفاق بين إدارة الأهلى ووزارة الشئون الاجتماعية ينص على إتاحة استخدام حمام السباحة لأبناء الشعب من غير أعضاء النادى أربعة أيام أسبوعياً. وتفاوض أحمد عبود مع وزير الشئون لتعديل هذا البند من الاتفاق ، ونجح فى مهمته، فقد تقرر أن يقتصر استخدام الحمام على طلبة المدارس العليا نظير رسوم مخفضة .

أدت سنوات الحرب العالمية الثانية إلى ارتفاع مستمر

فى أسعار مواد البناء ، ولذلك وصلت التكاليف الفعلية عند انتهاء العمل فى حمام السباحة إلى ثلاثة وعشرين ألف جنيه ، وازدادت مساهمة أحمد عبود إلى ثمانية آلاف جنيه.

تشير الأرقام والوقائع إلى أن أحمد عبود قد تكفل وحده بثلث تكاليف الإنشاء تقريبا، واستثمر نفوذه واتصالاته وقدرته الفائقة على الإقناع للحيلولة دون تنفيذ الشرط الذى وضعته وزارة الشئون الاجتماعية، مقابل مساهمتها بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه، وكان كفيلا بإزعاج الأعضاء وصناعة أجواء التكدس والازدحام. فعل الرجل ذلك كله وهو عضو عادى من أعضاء النادى، ولم تتوقف جهوده التعميرية عند هذا الحد ، ففى ظل رئاسته لمجلس الإدارة، أنشىء ملعب كرة قدم من طراز جديد، لم تعرفه الملاعب المصرية من قبل.

- ٥ -

كان الأهلى، عندما تولى أحمد عبود باشا رئاسة مجلس إدارته. سباقا فى اتخاذ قرار بإنشاء ملعب

عصرى ذى طراز متميز، وكانت البداية بالقرار الذى اتخذته الجمعية العمومية سنة ١٩٤٩ ببناء مدرجات تتسع لعشرين ألف متفرج، وتمت المرحلة الأولى بتعلية المدرجات وبناء أبواب متحركة، وبعد عدة سنوات حصل النادى على إعانة من وزارة الشئون الاجتماعية لإنارة الملعب ، وهى العملية التى انتهى إنجازها سنة ١٩٥٦ .

كان الأهلى ، تحت قيادة أحمد عبود، هو النادى الأول الذى بادر بوضع عدادات للملعب الرئيسى لكرة القدم، تتيح إحصاء عدد الحضور من الجماهير ، وهو ما يعنى بالتبعية القدرة على التحكم فى مبيعات التذاكر وإيراد المباريات.

قبل مغادرة عبود لمنصبه فى الأهلى بأقل من عام، سعى الرجل للحصول على قرض من بنك الإسكندرية لاستكمال مشروع بناء المدرجات، وبلغت قيمة القرض عشرين ألفا تسدد بأقساط شهرية .

فى سنوات رئاسته المتصلة ، لم يكن أحمد عبود خاملاً أو سلبياً، ولم يبخل على الأهلى بمزيج من الدعم المادى والمعنوى . لقد أفاد من علاقاته المتشعبة فى تقديم

خدمات حيوية مازالت باقية إلى الآن، وتشهد بحرصه على التشييد والتطوير وفق أسلوب علمي عملي متزن .

-٦-

كان أحمد عبود عاشقا للنادى الأهلى وكرة القدم، وكان أيضا ذا تفكير عقلانى عصرى ، يسعى إلى مواكبة معطيات العلم والأخذ بما فيه من تطورات. حبه للكرة ، مثله فى ذلك مثل ملايين المصريين، لا يعنى أنه خبير فى شئونها الفنية أو دقائقها وأسرارها الخططية، ومن هنا كان الاقتصادى المحترف هو صاحب فكرة الاستعانة بالمدربين الأجانب فى كرة القدم . ذلك أنهم أكثر خبرة من المدربين المحليين، والأقدر على الارتفاع بمستوى اللعبة وصقل وتنمية مهارات اللاعبين وتلقينهم الخطط الحديثة التى تتبعها المدارس الأوروبية المتقدمة .

فى سنة ١٩٥٥ ، تعاقد أحمد عبود مع المدرب فرتز، ثم استمرت سياسة الاعتماد على المدربين الأجانب ، لكن الجدير بالاهتمام حقاً هو أن رئيس النادى قد تكفل بدفع نصف الراتب المتفق عليه ، والذى كان حده الأقصى مائة جنيه! . لم يكن الرجل باحثا عن الشهرة، فهو غارق فيها، ولم يستثمر القلعة الرياضية ذات الشعبية الطاغية لتحقيق

مزيد من النفوذ، فهو ليس فى حاجة إلى المزيد . كان ينفق بسخاء، ويكافىء لاعبى الكرة وغيرهم عند تحقيق الانتصارات، وبعد إزاحته، تعرض فريق الكرة لأزمة غير مسبوقة. لقد احتكر الأهلى بطولة الدورى العام لكرة القدم منذ انطلاقه سنة ١٩٤٨ حتى بطولة ٥٨ - ١٩٥٩ ، ثم ذهبت إلى الزمالك وعادت إليه مرتين متتاليتين. ومنذ بطولة ١٩٦٢ ، التى غادر أحمد عبود منصبه قبل نهايتها،. لم يعد الأهلى إلى الحصول على الدورى إلا بعد سنوات وسنوات .

السؤال الذى يطرح نفسه هنا : لماذا عزل أحمد عبود من منصبه؟ وهل توجد علاقة بين تأميم شركاته الناجحة وإزاحته عن قمة مجلس الإدارة الذى يقوده بمهارة ؟! .

- ٧ -

بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كان مجلس إدارة النادى الأهلى ، برئاسة عبود ، فى طليعة المؤيدين للثورة، وبعد شهور قلائل تقرر إنشاء مراكز تدريب عسكرية لتشكيل كتائب فدائية تقاوم الاحتلال الإنجليزى فى منطقة القناة، وكان ذلك فى ظل قيادة «صديق الإنجليز»

أحمد عبود!.

مجلس عبود هو الذى منح رئاسة النادى الشرفية للرئيس جمال عبدالناصر فى الرابع من نوفمبر سنة ١٩٥٥، وهو نفسه المجلس الذى أوقف كافة الأنشطة الرياضية بعد تأميم شركة قناة السويس، وفتح باب التطوع للعمل الفدائى.

وفى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، قام الرئيس عبدالناصر بزيارة النادى الأهلى ومعه ملك أفغانستان لمشاهدة مباراة دولية فى لعبة الهوكى ، وكان أحمد عبود على رأس مستقبلى الضيفين. بعد شهور من الزيارة، صدرت قوانين يوليو الاشتراكية ، وأطاحت بأحمد عبود من الحياتين الاقتصادية والرياضية معاً !

فى احتفالات النادى الأهلى بالعيد المئوى لتأسيسه ، تم الاحتفال بعشرات من رموزه القيادية والرياضية، فهل حظى الرئيس السابع فى تاريخه، وصاحب البصمة البارزة فى إنشاءاته وإنجازاته ، ببعض ما يستحق من التكريم والتقدير؟!.

الخاتمة

-١-

ليس مثل اسم أحمد عبود باشا في التعبير عن الرأسمالية المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو ، وفى السنوات الأولى بعد قيامها. لم يكن صعوده إلا تعبيرا عن التغيير الذى طال المجتمع كله بعد ثورة ١٩١٩ ، بكل ما ترتب على الثورة الشعبية من تحولات نوعية على الساحة الاقتصادية.

وكانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول جديدة حاسمة، فمع انقطاع الواردات من الخارج، لظروف العمليات العسكرية، كان منطقياً أن تظهر صناعات جديدة، وتنتعش صناعات قديمة، وتزيد رؤوس الأموال فى الشركات المصرية المساهمة. تجارية كانت أم صناعية. ويتضاعف الانتاج الوطنى من الغزل والنسيج والسكر والأسمنت والزيت والصوف وغير ذلك من السلع.

لقد ارتفع صافى الانتاج الصناعى المصرى سنة ١٩٤٥ إلى مبلغ ١٨ مليون جنيه، ولم يكن يتجاوز ١٢ مليون جنيه فى السنة التى اشتعلت فيها الحرب، ١٩٣٩،

ولاشك أن هذه الطفـرة وليـدة عـمل يتـمـثل فى أسـمـاء نشيطة ، فى الطليعة منهم أحمد عبود .

وإذا كان الكثيرون من مستثمرى المرحلة ينتمون إلى عـائلات ثرية منذ البدء، عبر روافد زراعية وتجارية ، فإن الاقتصادى المتميز أحمد عبود لم يكن من هؤلاء ، فقد بدأ حياته فقيرا ينتسب إلى أسرة شعبية متواضعة لا تملك إلا السـتـر، وكـان صعوده اللافت نتيـجـة للعمل الشاق والوعى المرهف والدأب العنيد. إنه أنموذج متكامل الملامح للعصامى الذى يؤسس ويبنى مـعـتمـدا على نفسـه، دون اتكاء على ميراث سابق التجهيز. لا تخلو رحلة الصعود من شـوائب وممارسـات تنأى عن المثـاليـة والالتـزام الأخلاقى الصـارم، لكن مصـداقيـة التقييم لا تكتمل إذا كـانت أحـادية الجـانب ، لابد لهـا من مـراعاة كل جـوانب المشهد .

يبدى الكثيرون إعـجـابهم بعبـود وتجربتـه ، ويتحـفظ آخـرون مـركـزين على العيـوب والمثـالب ، لكن المحبين والكارهين يجمعون على عصاميته وذكائه وبراعته الفائقة فى الإدارة وقـدرته الفـذة على القـراءة الواعـيـة لمعطيـات

الواقع، والتعامل مع متغيراته من منظور عقلانى عملى يخلو من التشنج والانفعال .

أحمد عبود ابن مرحلة تاريخية حافلة بالإيجابيات والسلبيات، يتعانق فيها الخير والشر، وتزدحم بالأبطال النبلاء والمتهمين بالخيانة والتفريط. الاقتصادى الكبير ليس استثناء من العصر، ولا يمكن أن يكون ، ففى رحلة حياته إيجابيات وخير وبطولة، ولا تخلو الرحلة أيضا من سلبيات وشرور وسلوكيات لا مثالية فيها .

-٢-

لم يكن أحمد عبود كاتباً أو مفكراً. لكنه نشر مقالاً عميقاً ممتعاً، قرب نهاية الأربعينيات، يحمل عنوان «كيف تصبح مليونيراً» ، وفيه يقدم نصائحه وخلاصة تجربته . اللافت للنظر، أن رجلا عملياً مثله يفتتح المقال بقوله: «ليس النجاح من الأسرار، ولكنه أولا وقبل كل شيء توفيق من الله، فقد تجتمع فى شخص كل مؤهلات النجاح من شهادات وجاه وشخصية قوية . لكن سوء الحظ يلازمه فلا ينجح فى أى عمل يقوم به ، بينما ينجح من هو أقل منه فى الكفاءة والجاه، وأضعف منه

شخصية»! .

نزعة إيمانية قدرية، تتسم بالصدق والعفوية، ولا يمكن فهمها بمعزل عن نشأة أحمد عبود فى حي باب الشعرية، وعمله المبكر فى الحمام الشعبى مساعدا لأبيه . هذه النبرة الاستثنائية لا تمثل جوهر رؤية الرجل، والمستخلص منها أن عملية النجاح تعبير عن مزيج من العوامل الذاتية والموضوعية، فليس من وصفة سحرية تقود إلى نهاية حتمية سعيدة. الأمر يحتاج الى مؤهلات وسمات لا يتحقق النجاح الحقيقي بغيرها، لكن توافرها لا يعنى بالضرورة الوصول إلى الهدف المنشود .

لقد اجتمعت فى شخصية أحمد عبود كل متطلبات النجاح الذاتى ، العلم والقوة والطموح والإرادة والإصرار والدأب، وأسعفته الظروف الموضوعية، التى أحسن استثمارها ، فى دعم مركزه وتحقيق أحلامه. قد تكون أسلحته فى الاستعانة بهذه الظروف مشوبة فى بعض الأحيان بقدر من القسوة والجفاف ، ومخاصمة المبادىء المثالية، لكنه قدر الإنسان ! .

على الرغم من وفرة الكتب والبحوث والدراسات التى

تتناول التاريخ المصرى قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فإن الأغلب الأعم منها لا يتوقف إلا عند الأحداث الكبرى ، ولا يتناول إلا شخصيات القادة والزعماء ومحترفى السياسة، وكأن بناة وأعلام الاقتصاد ليسوا أهلا للاهتمام وتركيز الأضواء عليهم. أو كأنهم كتلة واحدة لا تمييز بين أفرادها . الإفراط فى الحديث عن الطبقة والجماعة والفئة يقود إلى التعميم، ويتغافل عن حقيقة أن بعض الأفراد المحسوبين على الكتلة قد كافحوا بشرف، وبعضهم الآخر آثر استخدام أساليب مغايرة، فأى منطق يبرر وضع الجميع فى سلة واحدة ؟!

-٣-

من التبسيط المخل أن ينسب الفضل فى نجاح أحمد عبود إلى الفساد والانحراف والتآمر وضربات الحظ، أو إلى علاقات الصداقة مع بعض قيادات ورموز الإنجليز فى مصر . ما أكثر الفاسدين المنحرفين المتآمرين المحظوظين الذين لم يحققوا نجاحا يذكر فى عملهم الاقتصادى ، وما أكثر الذين ارتبطوا بصلات وثيقة مع الإنجليز فلم ينعكس ذلك على إنجازاتهم فى سوق العمل

والمال.

نتائج وخيمة تترتب على ذلك الربط الميكانيكى بين الناجحين اقتصاديا وظاهرة الفساد، فمثل هذا التحليل يقدم تفسيراً سهلاً وهشاً، يدغدغ مشاعر المتلهفين على الوصول إلى نتائج يقينية بلا دليل، ويصنع صورة نمطية مشوهة قوامها إثارة الفزع وبث الرعب من ناحية، والتشويه والإدانة الرخيصة من ناحية أخرى . لا يخلو عصر من فاسدين ومنحرفين، لكن التعميم فى إطلاق الأحكام ليس موضوعيا أو منصفاً .

فى حياة أحمد عبود مواطن ضعف لا يمكن إنكارها أو إهمالها ، وفى حياته أيضا عشرات العلامات المضيئة، فأى منطق فى التوقف أمام جانب دون جوانب؟ ، وكيف يستقيم التقييم إذا اختصر نجاح شخص فى علاقة زواج، أوصلات صداقة، أو فى الإعلاء من شأن أقاويل وشائعات لا دليل على صحتها ؟! .

كان أحمد عبود مولعاً بالعمل، ومخلصا له ، وحريصا على التطور والنمو ومراودة المزيد من النجاح. ابتعد عن السياسة إلا بالقدر الذى يحقق مصالحه ، ولم ينغمس فى

الحياة الاجتماعية إلا فى الحدود التى لا تعرقل نشاطه وتهدر وقته . وكانت الوطنية الحقيقية عنده هى بناء الاقتصاد القوى الذى ينهض على أكتاف المصريين، بعد أن طال تحكم الأجانب وامتدت هيمنتهم إلى كافة المجالات .

ينحاز أحمد عبود الى الاستقرار . ويؤمن بأن الإدارة العلمية العاقلة الرشيدة هى سر النجاح، وأن الرؤية المتزنة صانعة للإنجاز. لا مصادرة على حق الآخرين فى الانحياز إلى اختيارات مضادة بديلة، ولا يحق لهم فى المقابل أن يصادروا الاجتهادات المختلفة التى يتشبث بها عبود وأمثاله.

- ٤ -

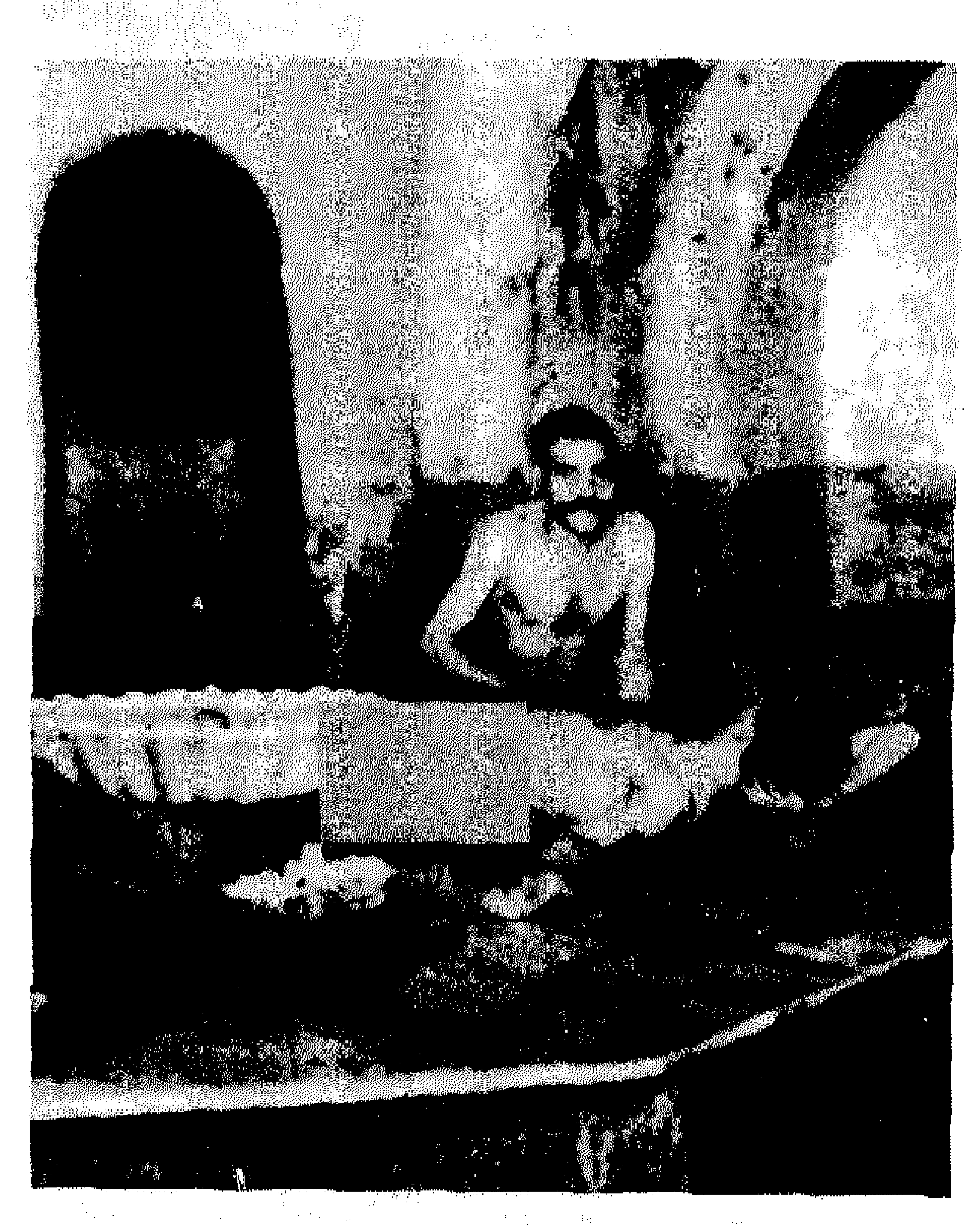
اجتهد أحمد عبود، وفى اجتهاده هذا أصاب وأخطأ مثل كل البشر. عند النظر إلى مجمل تجربته، لابد من البحث عن كل مفيد مضىء، والتوقف بموضوعية عند الدروس المستفادة من المضر المسىء .

الإيمان بالعمل قيمة جليلة مستمدة من تجربة الاقتصادى الرائد، والطموح المشروع إلى النجاح قيمة

أخرى ، أما القيمة الثالثة فهى الإعلاء من شأن العلم والتفكير العلمي. لم يستسلم عبود الشاب لظروف نشأته، فقد عمل وتعلم، وكافح مؤمناً بقدراته . واستطاع بإصراره ودأبه أن يتجاوز البدايات الصعبة ويصعد من القاع الى القمة .

إذا لم يكن فى تجربته إلا هذا لكفاه ، ولو احتذى به من يراودون النجاح لوجدوا فيها أنموذجاً بينهم يسعفهم ويشجعهم. أما الذين لايرون فى مجمل المشهد إلا ما يتوافق مع قاموس الإحباط واليأس ، فلن تجدى معهم دروسه وقيمه ! .

ملحق الصور

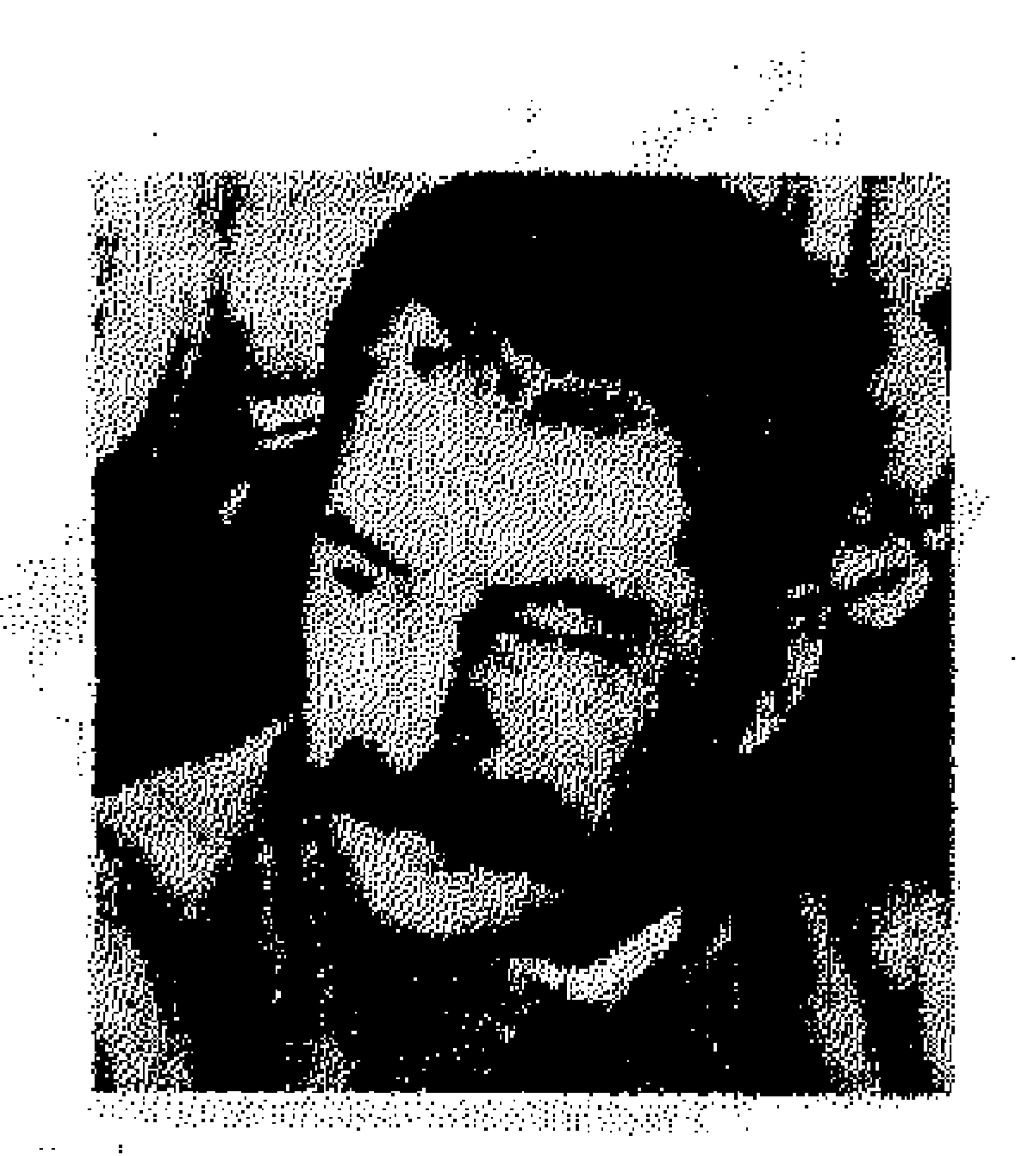


في حمام شعبى.. بدأ عبود رحلته مع العمل


هنرى فورد


فرانكلين روزفلت


ونستون تشرشل


جوزيف ستالين


أدولف هتلر

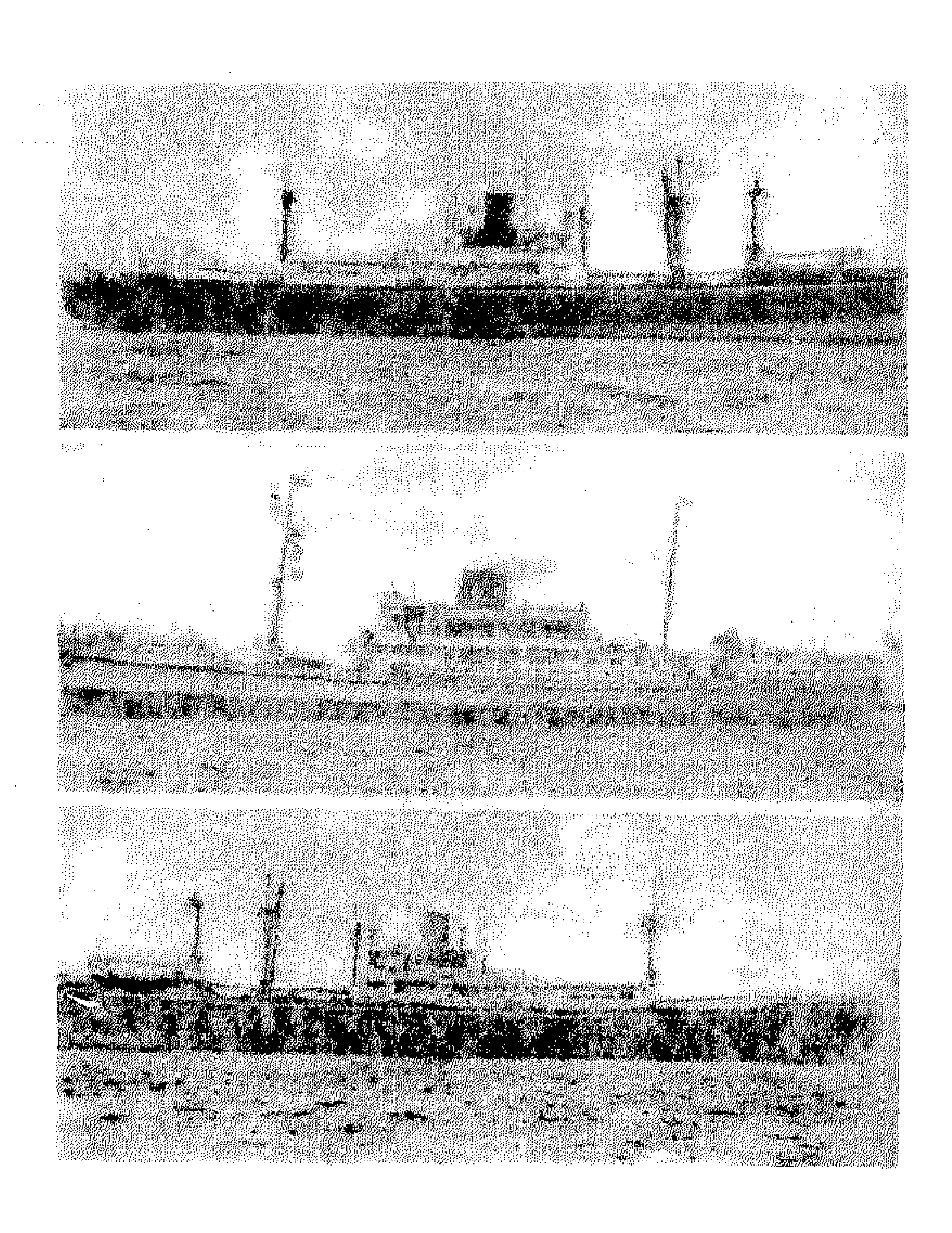
عظماء الغرب فى النصف الأول من القرن العشرين كما اختارهم أحمد عبود



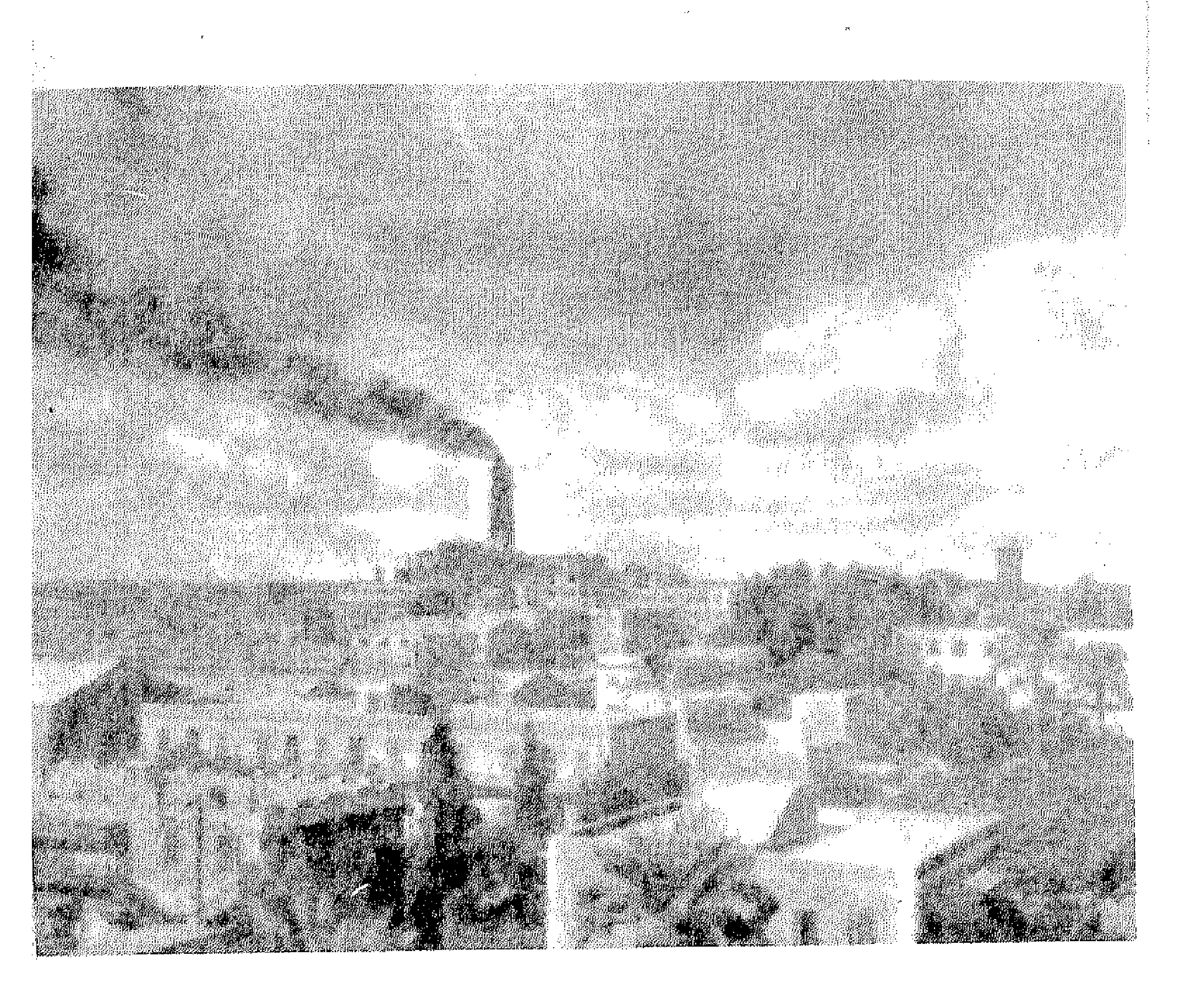
عبود باشا فى شرف استقبال جلالة الملك



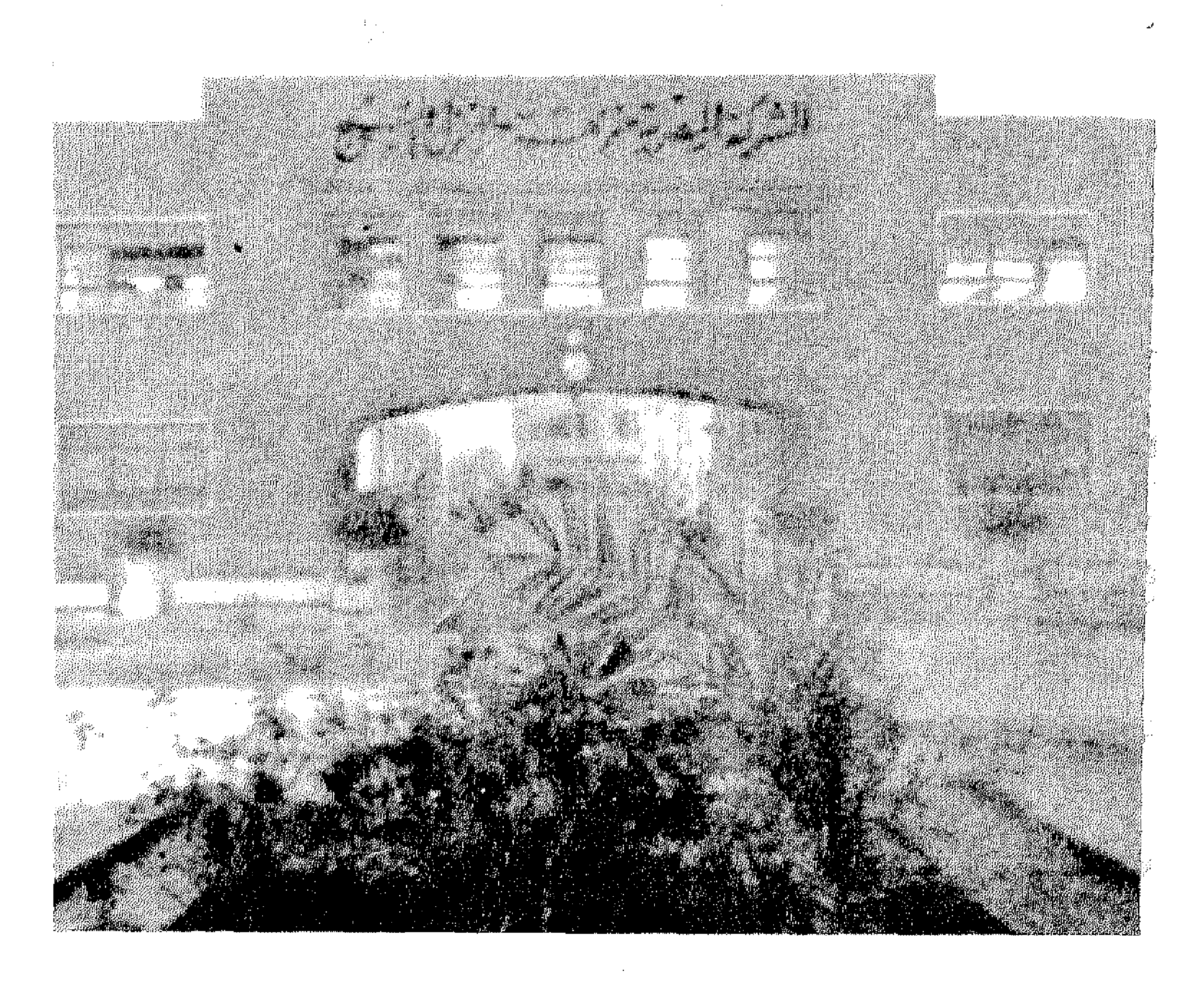
اقتصادي مصر الكبير أحمد عبود باشا



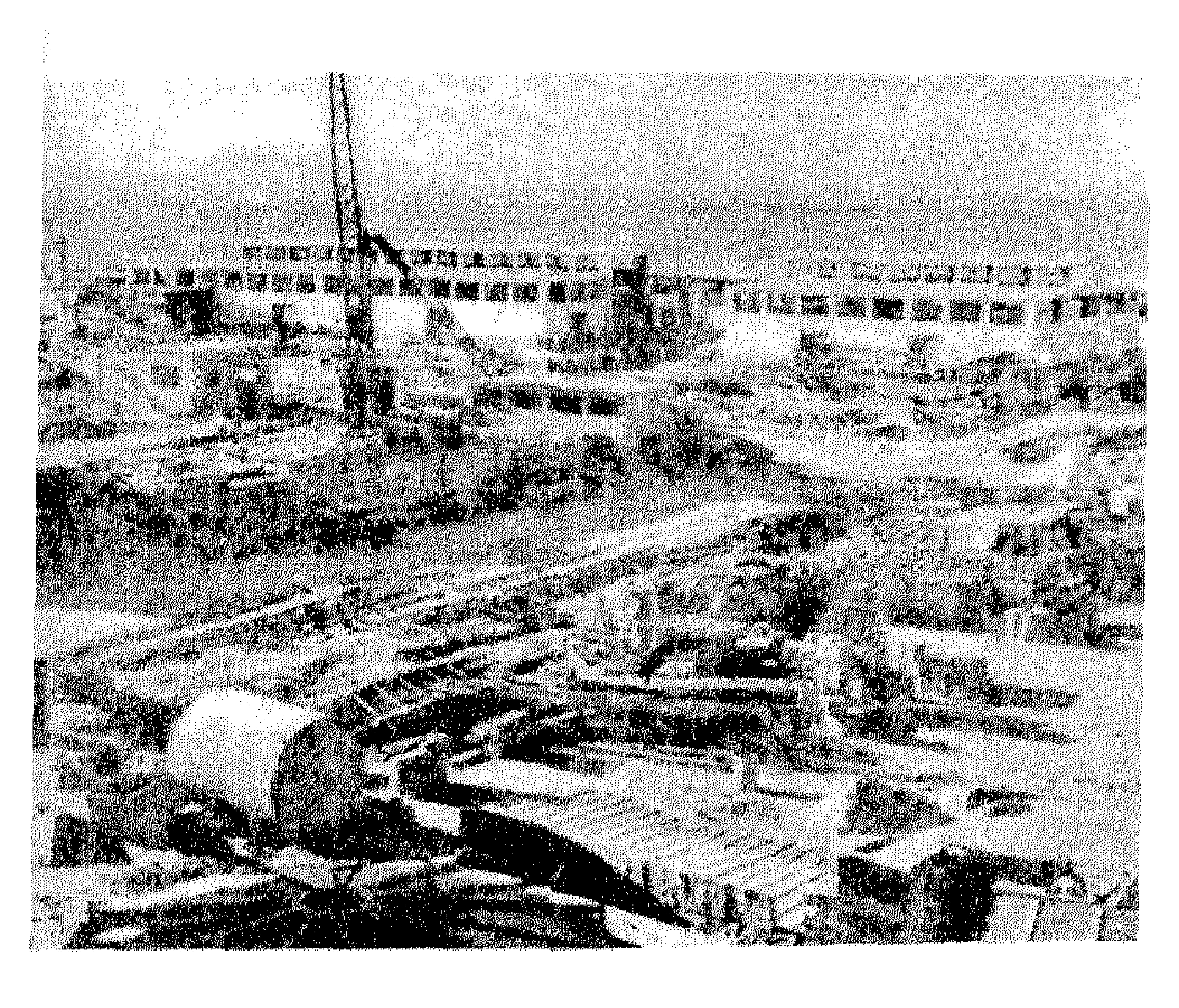
بعض بواخر شركة البوستة الخديوية التى يملكها الاقتصادى الوطنى عبود باشا



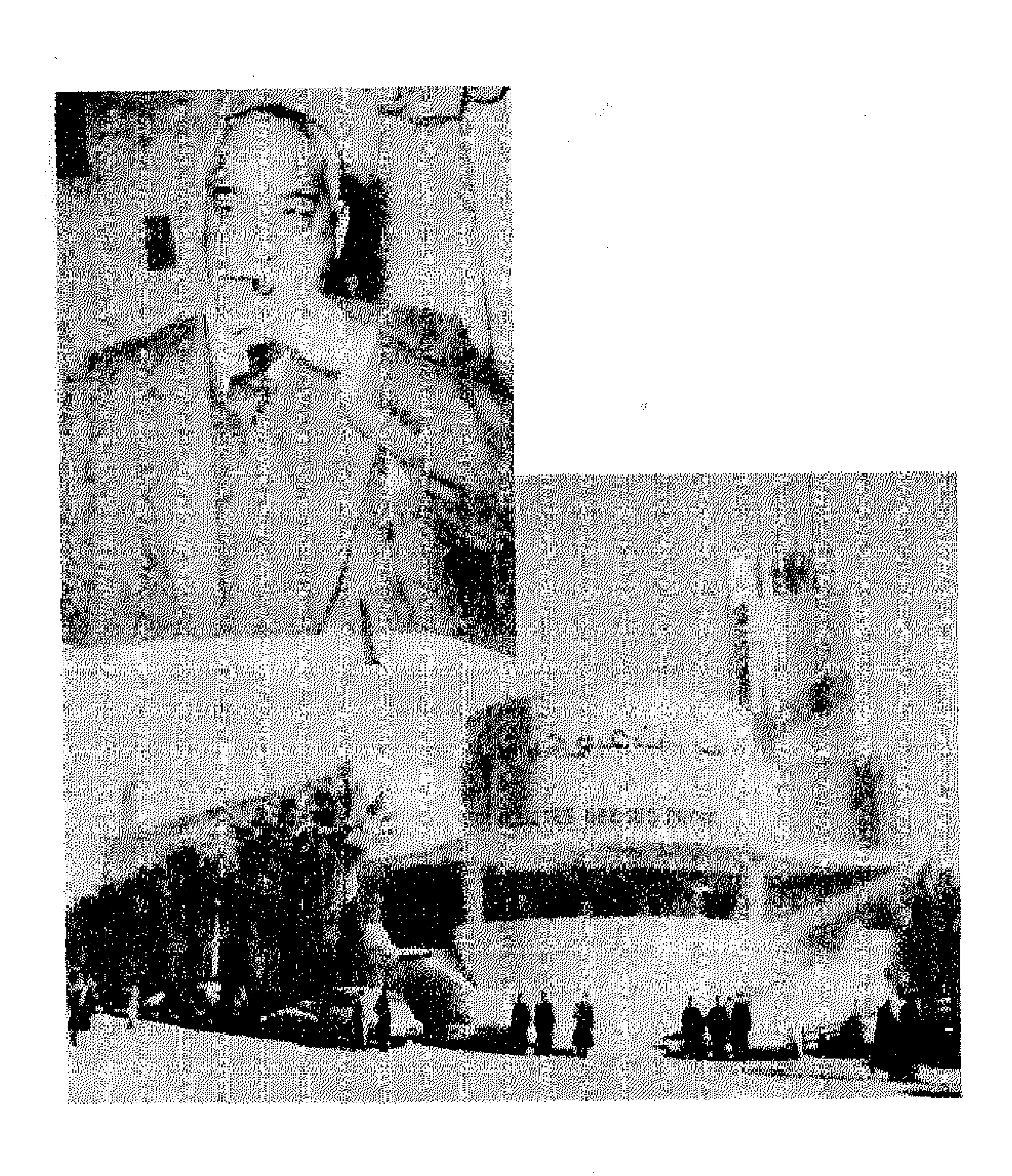
مصانع تكرير السكر بالحوامدية.. إحدى صفحات الفخار لعبود باشا



إحدى شركات أحمد عبود



بعض جوانب مصانع الشركة المصرية للأسمدة والصناعات الكيماوية



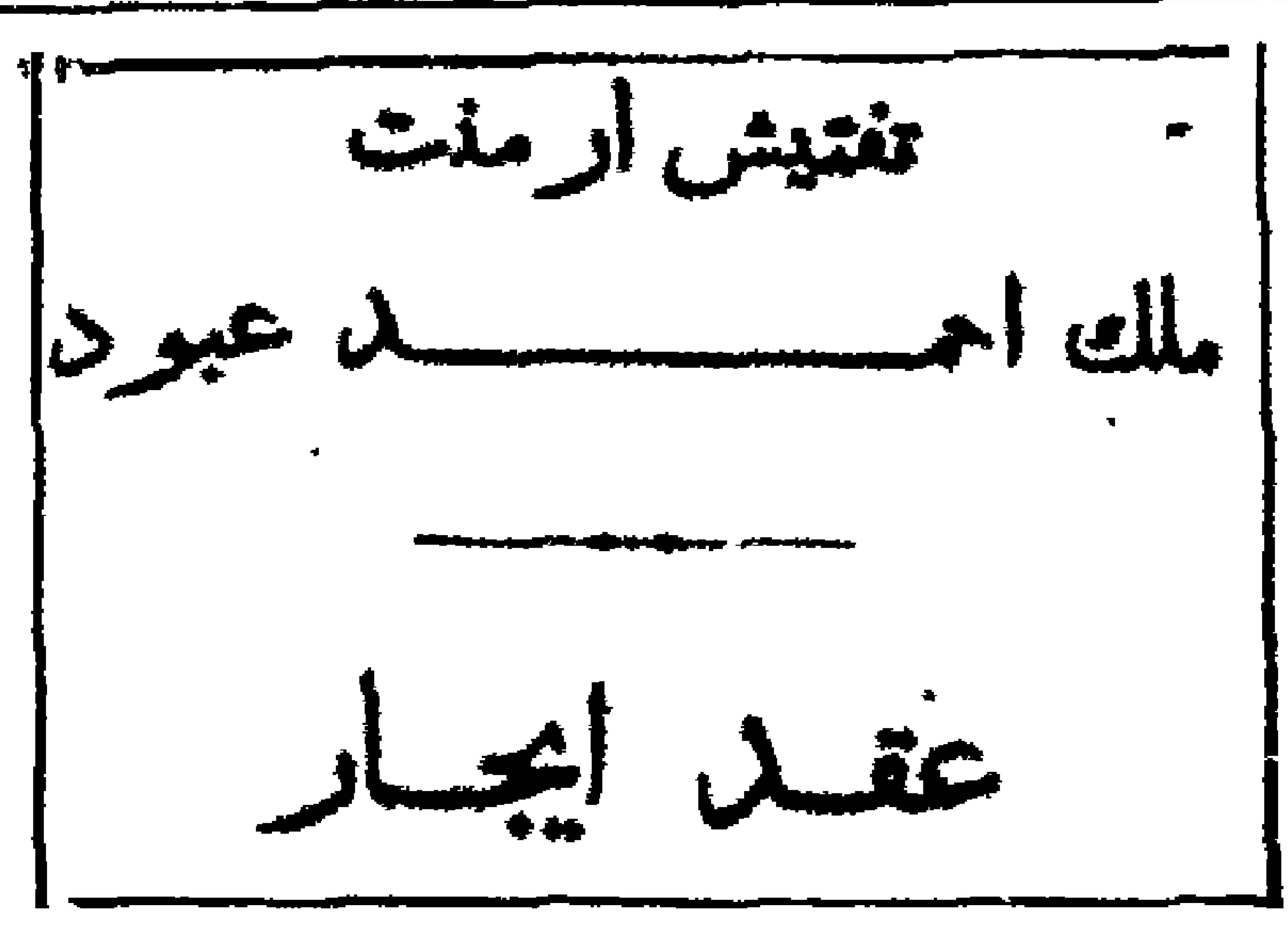
عبود ومجمع شركاته



ذروة النجاح



عبود فى أرمنت



تفتيش ارمنت
ملك احمـــــد عبود

عقد ايجار

البند التاسع

لا يحق للمستأجر وضع يده على الأطيان المؤجرة التي بموجب هذا العقد إلا بعد أن يجرى التفتيش تسليمها إليه ويعلن في مكتب التفتيش عن موعد تسليم هذه الأطيان وعلى المستأجر الاطلاع على هذا الموعد في حينه

وإن حدث تأخير المستأجر عن استلام الأطيان في الوقت اللازم لتحرير محضر بحضوره ويكون مسئولاً عن كل التلف في حين ... وزراعتها بمعرفته ويكون المستأجر ملزماً بتعويض إذا لم ... أو ... عليه

وعند يجرى المستأجر ... يقوم التفتيش بمسح الأراضي المؤجرة وعمل كشف مساحة يرفق بهذا العقد ويعتبر جزءاً منه وقبل البدء في عملية المساحة يعلن في مكتب التفتيش عن ميعاد اجرائها وعلى المستأجر أن يأخذ علماً بهذا الميعاد والحضور فيه لعملية المسح وإذا تأخر أو امتنع عن الحضور لأي سبب كان فيجرى التفتيش مساحة الأطيان بمعرفته في غياب المستأجر بدون أن يكون له حق الطعن في عملية المسح

البند العاشر

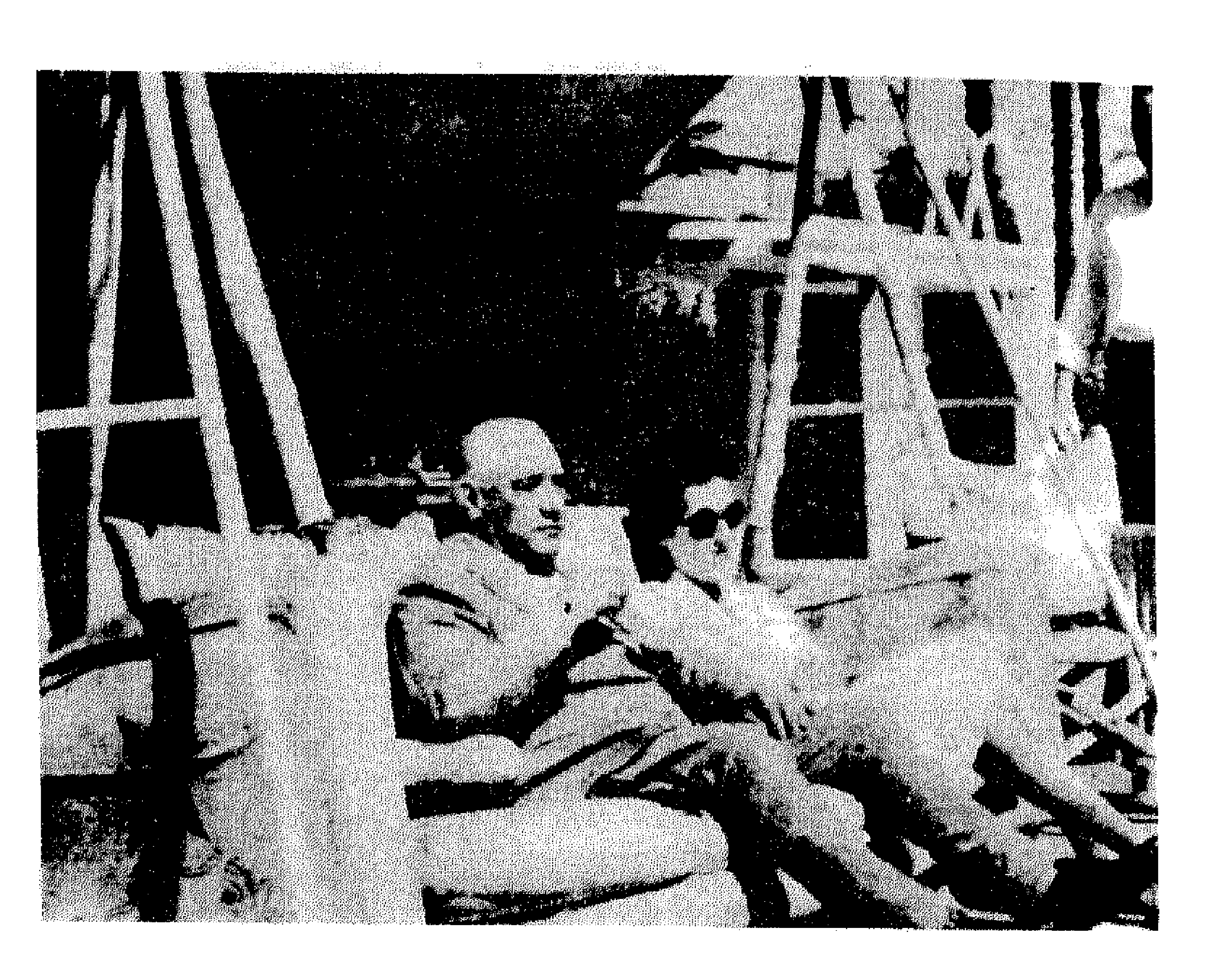
الأطيان التي تؤجر لزراعة قصب السكر تكون خدمتها من حرث وقلع بمعرفة تفتيش أحمد عبود وعلى المستأجر أن يستلمها قبل الزراعة وحسب الخدمة التي يجريها التفتيش بدون أن يكون له الحق في الرجوع على أحمد عبود من جهة عدم استيفاء الخدمة أو خلافه

يتعهد المستأجر بتوريد جميع القصب الناتج من هذه الزراعة إلى مصنع شركة السكر بأرمنت باسم أحمد عبود الذي له وحده حق التعاقد مع شركة السكر بخصوص توريد القصب المزروع في أطيانه .

يقر المستأجر بأنه أخذ علماً بجميع الشروط والتزامات العقد المبرم بين أحمد عبود وشركة السكر ويتعهد بتنفيذ ما يخصه من هذه الالتزامات سواء فيما يتعلق بتوريد القصب الناتج من هذه الإجارة إلى الشركة المذكورة أو خلافه .

يقر المستأجر أنه تنازل للمالك عن كل ما يورد من القصب إلى مصنع شركة السكر ويستولى هذا الأخير من المستأجر عليه بالتفتيش أو من قيمة الإيجارات أو من السلفيات أو أي مبلغ آخر يكون عليه للتفتيش ولا يجوز للمستأجر في أي حال من الأحوال أن يعطل سداد ما تبقى عليه تحت السداد من الإيجارات وسلفياته إذا اتضح أن قيمة أي القصب المورد إلى شركة السكر تقل عن قيمة المطلوب منه ولا يترتب عن هذا التنازل أي حق لعبود أو ... من قبيل تحصيل ثمن القصب وهذا التنازل لا يعتبر سداداً إلا بعد استلام المالك قيمة ... بالكامل ...

أحمد عبود . المالك الزراعى



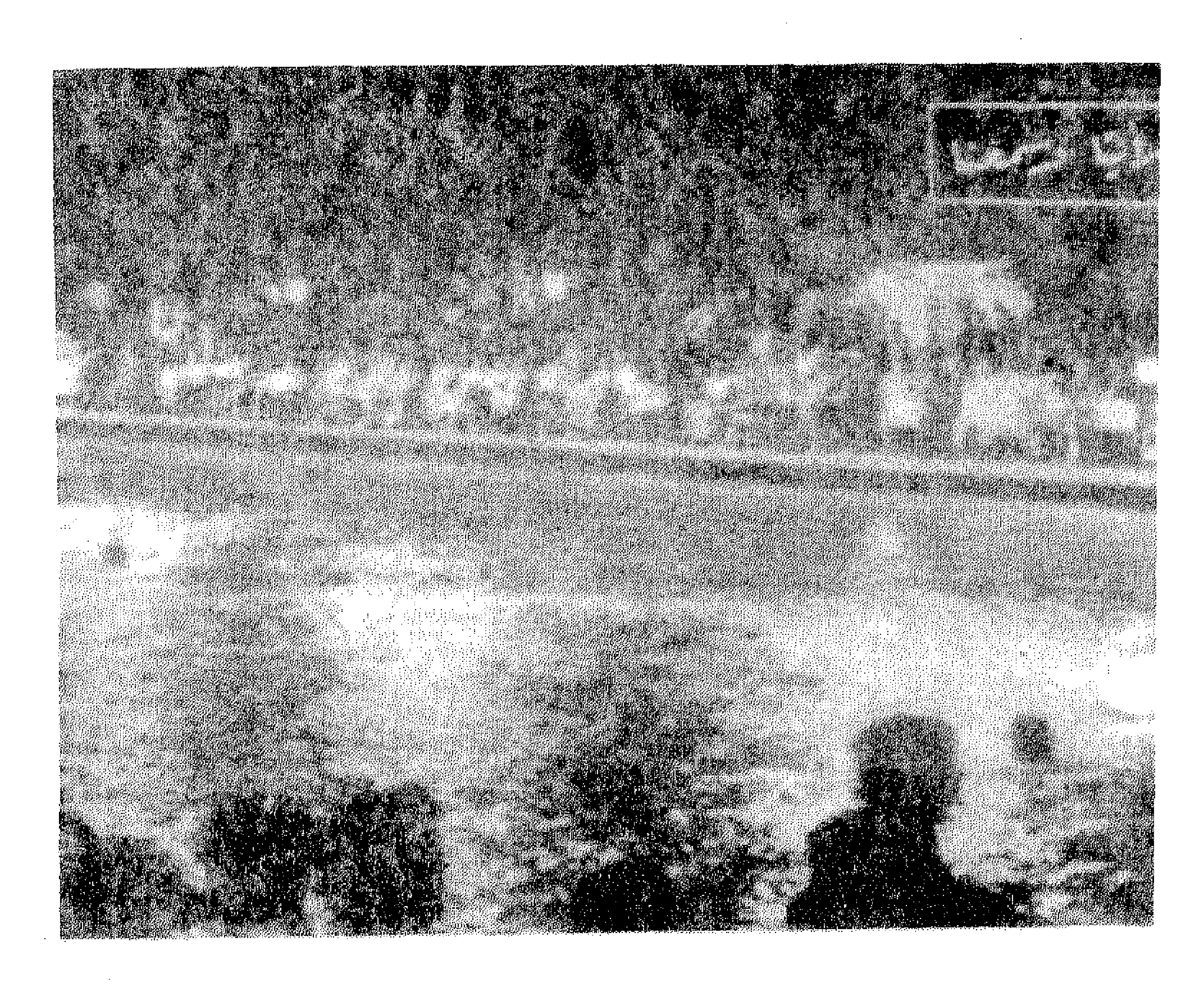
عبود .. وابنته الوحيدة مونا



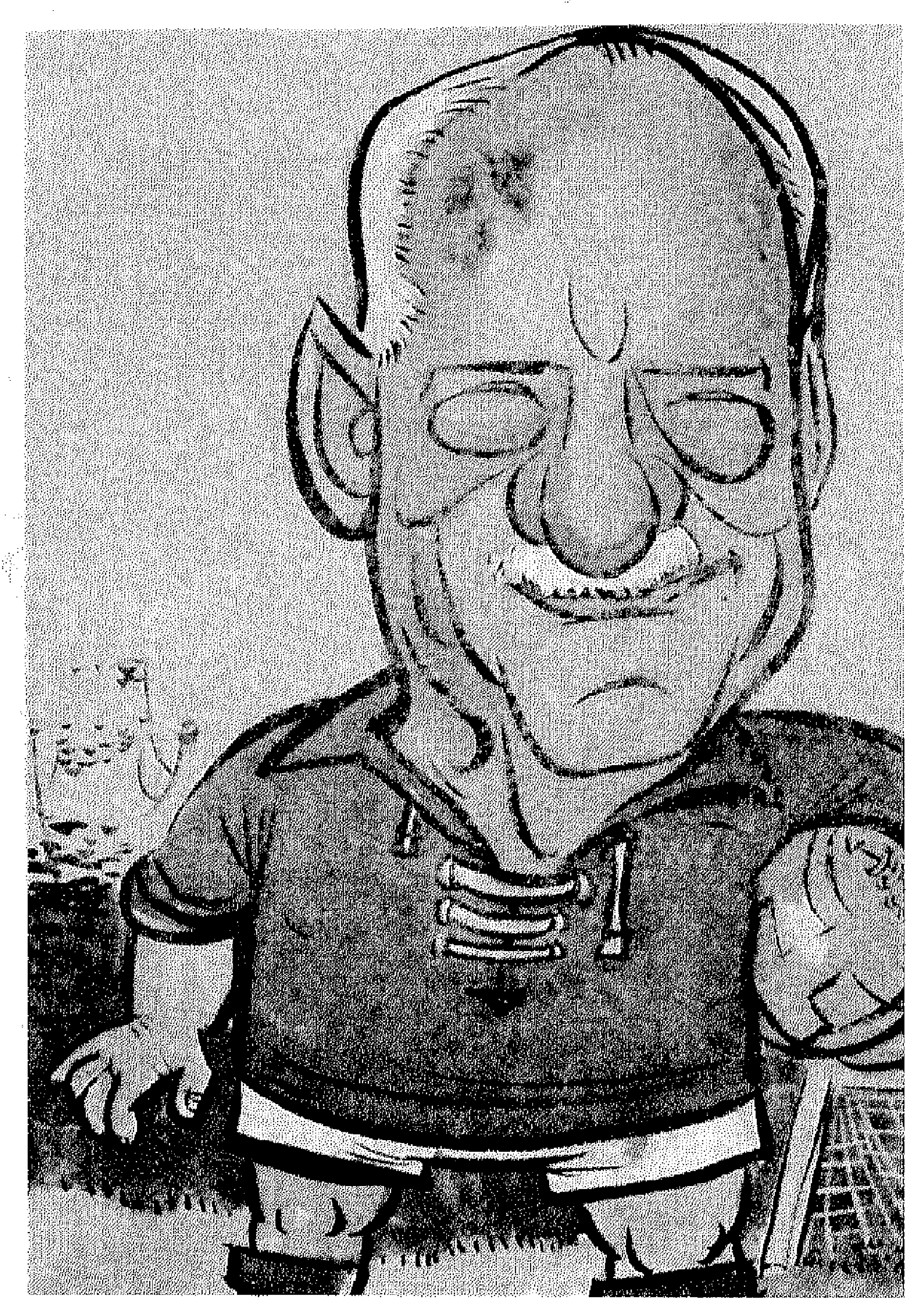
حفل زفاف مونا أحمد عبود ومحمد على حسين



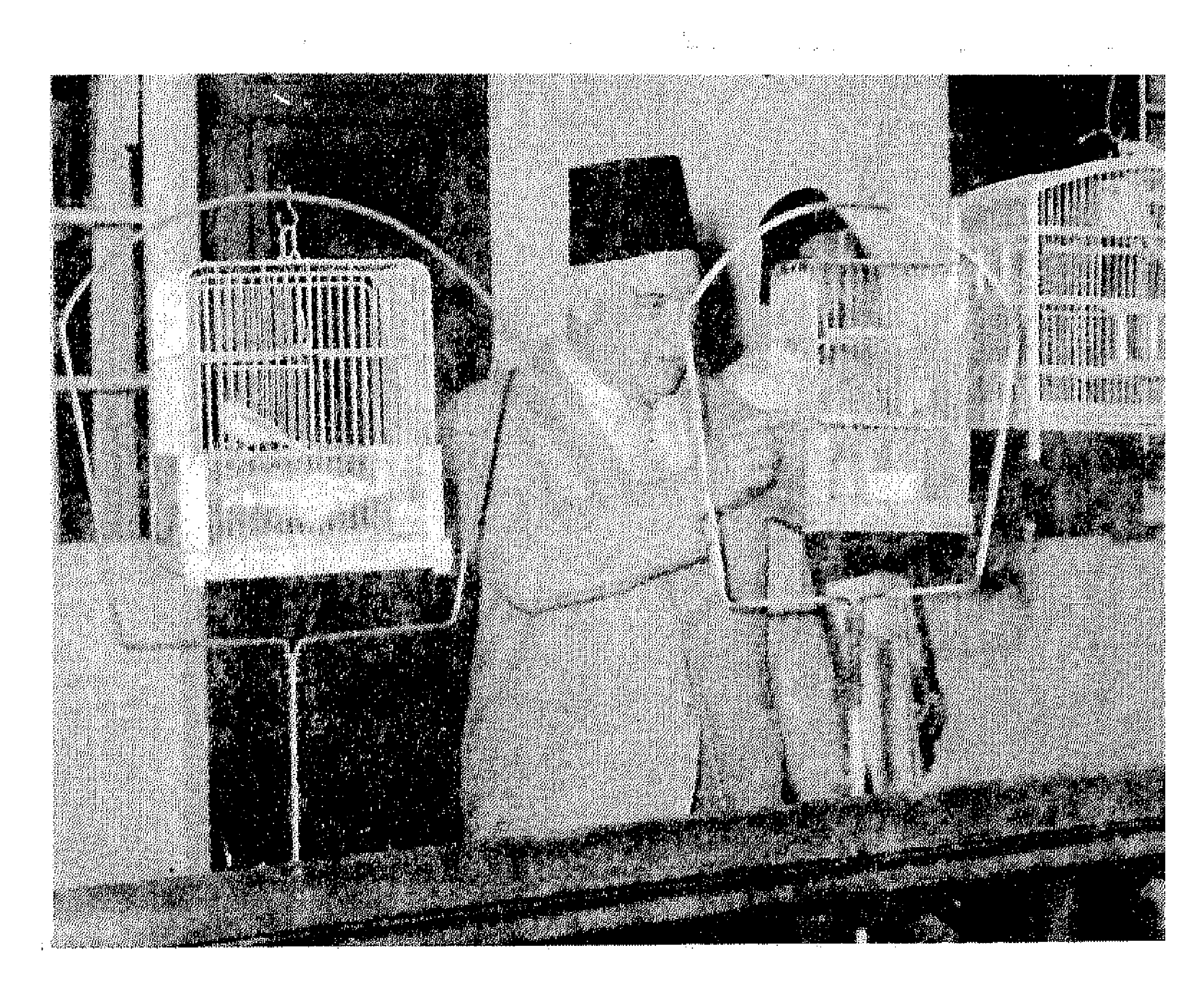
مجلس إدارة النادى الأهلى فى أكتوبر عام ١٩٥١ برئاسة أحمد عبود



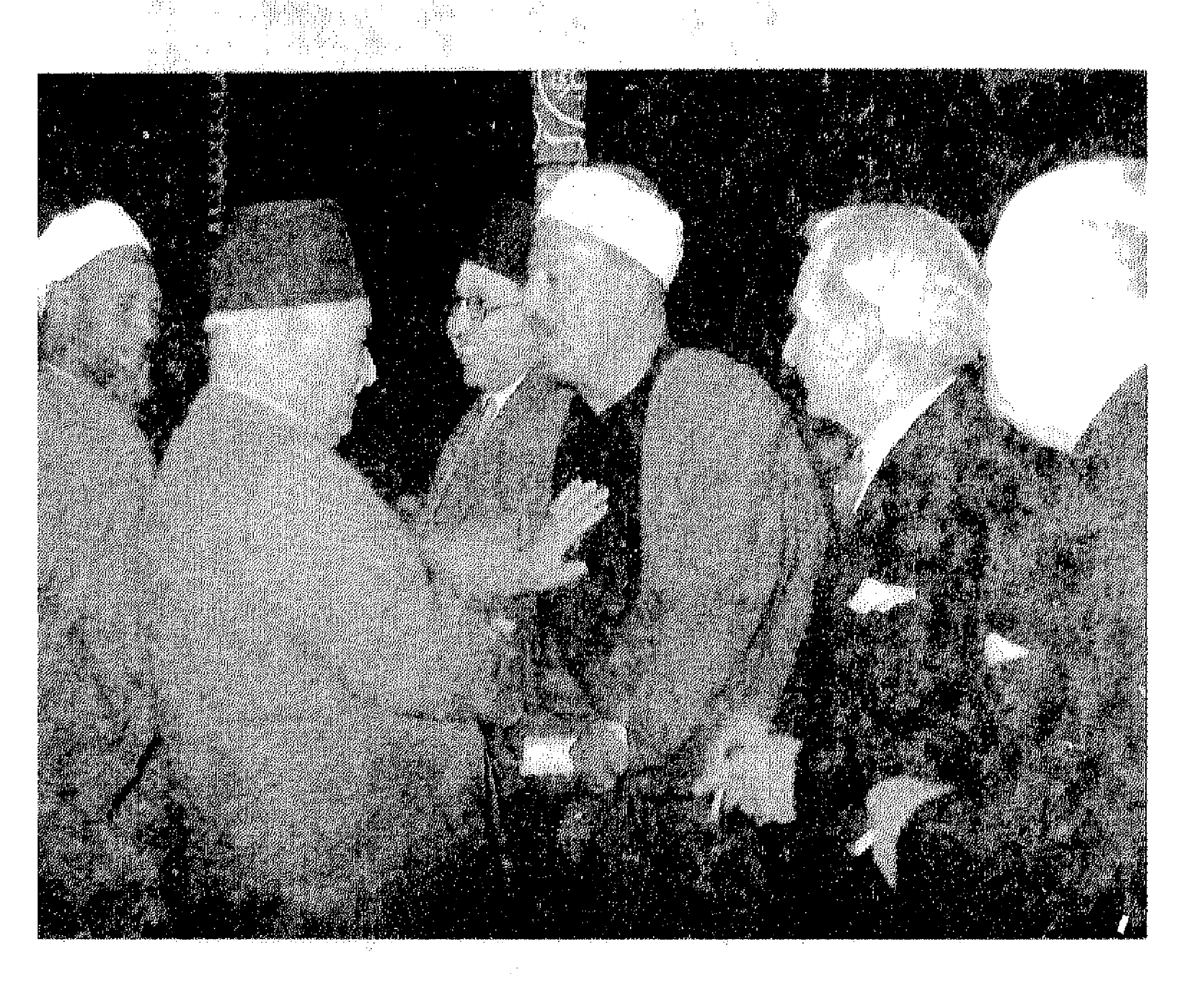
حمام السباحة فى النادى الأهلى من إنجازات عبود



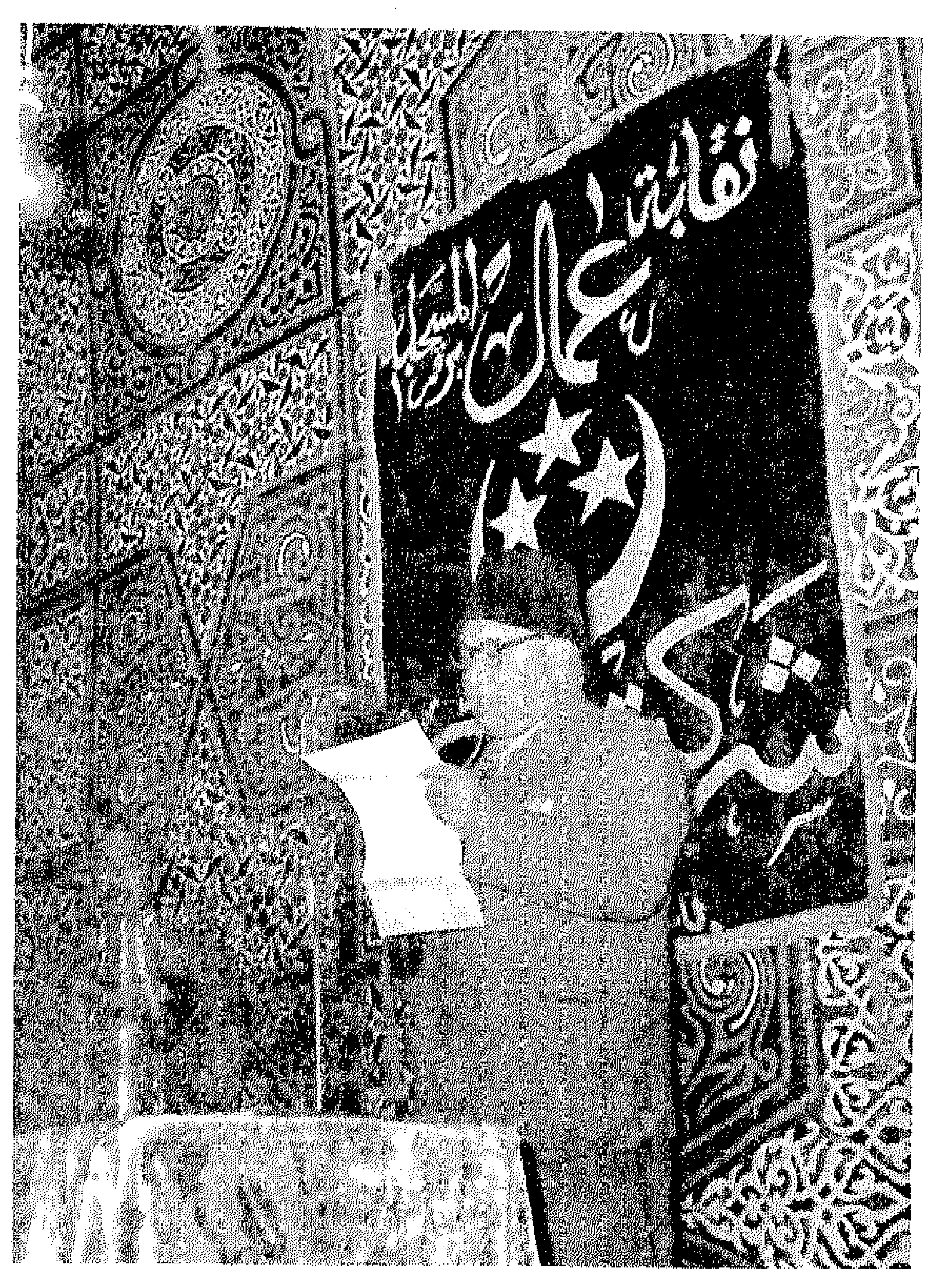
الرياضى



يداعب العصافير في عزبته.. الإنسان



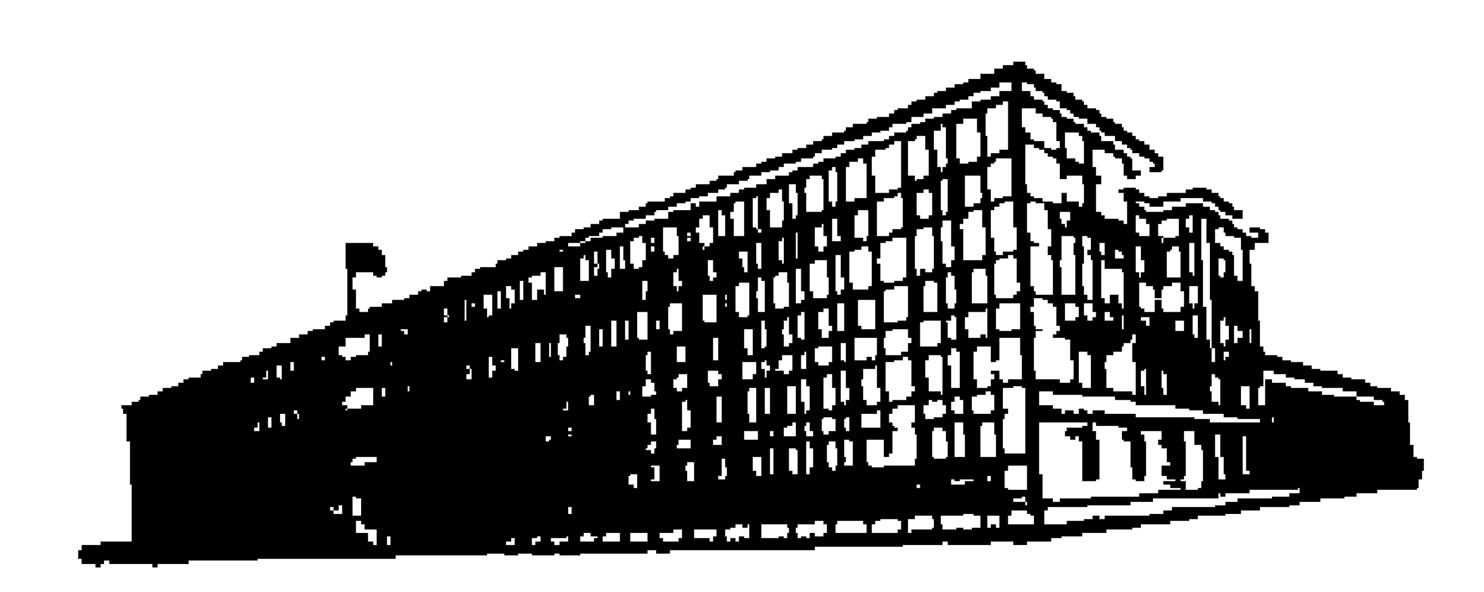
تواصل مع البيئة المحلية فى أرمنت



دعم العمل النقابى.. البطولة للإنتاج

الفهرس

أحمد عود الاقتصادي العصامي



الطباعة · مؤسسة دار الهلال - القاهرة



الكتاب القادم

أنطون سيدهم الملتزم

الإسهام الأبرز لأنطون سيدهم يتمثل فى تأسيسه لجريدة «وطنى» ، التى تعد من علامات الصحافة المصرية المستقلة ، ولنصف قرن منذ تأسيسها لعبت دوراً مؤثراً فى تدعيم الوحدة الوطنية ، والدفاع عن النسيج المصرى الواحد ، الذى لاتمييز فيه بين مسلم ومسيحى .



من ليس له ماض ليس له حاضر ولا مستقبل، وماضى الاستثمار المصرى يؤذن بحاضر نلمس ثماره، ومستقبل واعد تلوح تباشيره، وما الفجر ببعيد ، هذه الصفحات بين دفتى هذا الكتاب **الثانى** من سلسلة «رواد الاستثمار» محاولة محمودة من وزير معتبر «الوزير محمود محيى الدين» ومن وزارة مرتبة «وزارة الاستثمار» لإعادة كتابة تاريخ الاستثمار المصرى الذين يبدو كشجرة ليمون عتيقة ، تزهر فى الربيع وتعبق رائحتها مستقبل الوطن.

حماس «دار الهلال» العريقة لإعادة طبع سلسلة «رواد الاس
واصطحابها كتابا تلو الآخر مع كبرى إصداراتها «المصـ
الدار صاحبة الدور الوطنى على الدور الوطنى الذى لعبه
الوطن ورفعته، وتأكيد على أن هذا الوطن يعرف قدر
الذين ضحوا وبذلوا لكتابة اسمه بحروف من نور، درس
عنهم لماما وتتداول شذرات جد ظالمة، آن الأوان لكتابة التا
نحو آخر يهدى الحيارى.